



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بن بوضياف - المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية



قسم الفلسفة



مذكرة مكتملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

- د. خفي ضيف الله

إعداد الطالبة:

- لعيطر جفلن

السنة الجامعية 2018/2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:



صدق الله العظيم
فاطر 28



صوت بلا إخلاف
صوت بلا كتابة هو
في الحين نفسه
مطلق الحي
ومطلق الميت

الإهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى الذي قبل فيهما الله تعالى :

" وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبَدُوا إِلَّا يَٰهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا "

سورة الإسراء 23.

إلى والديا الكريمين اللذان كنت لهما القفل في وقوفي الآن في
هذا اللحظة وهذا اليوم المميز لادمهما الله وأسعدهما لي واللذان
كانا دوماً درعاً في ظهري ودعواتهما سلاحاً الذي حميت به نفسي
طيلة مشواري للدارسى .

وإلى رمز المحبة والعطاء، إختوتى أحلام ، غام ، عالا

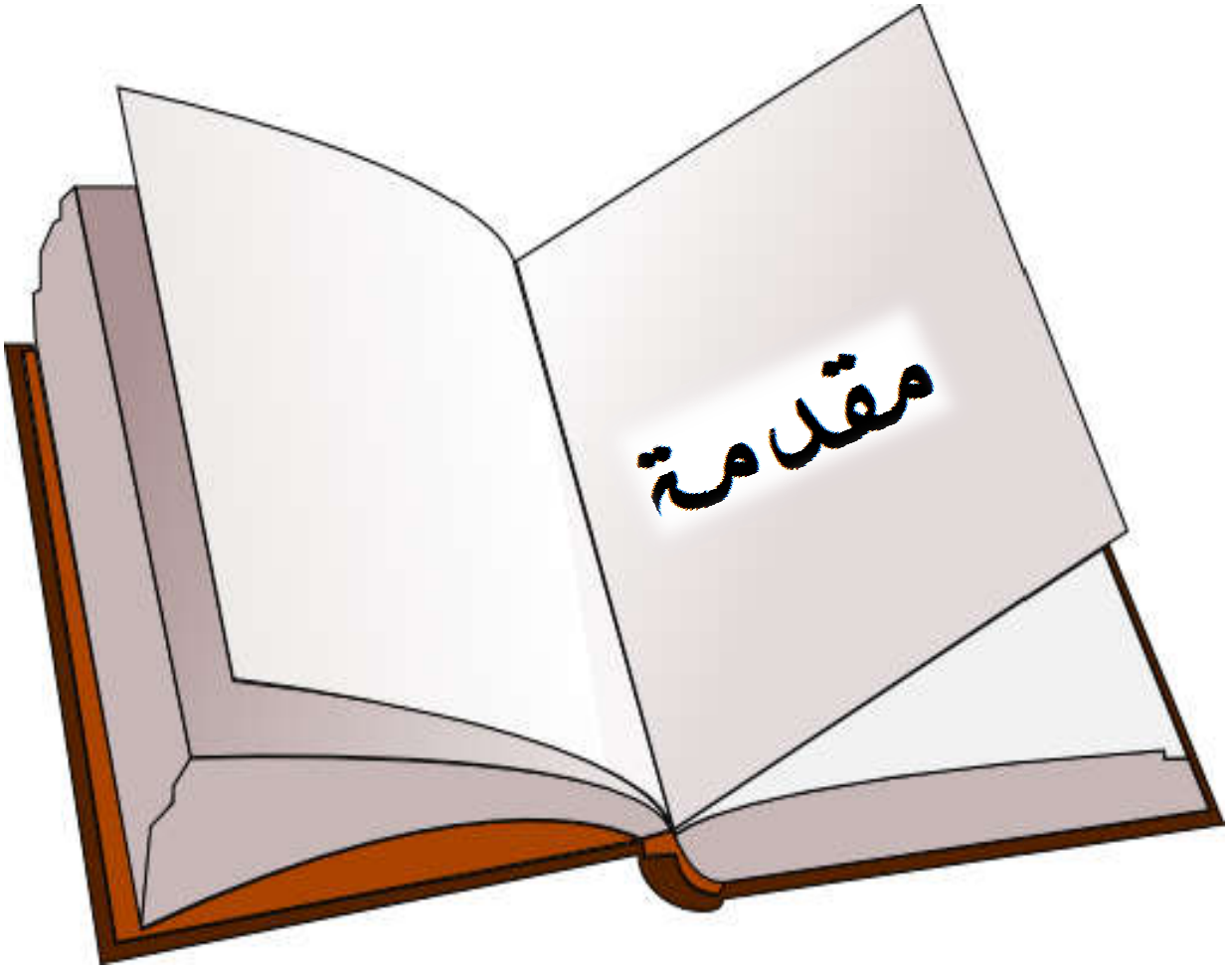
إلى عائلة حرز لي أينما كنت

أيضا أهدي هذا العمل إلى عائلة العيظري التي أشرفها اليوم
إلى كل من علمني حرفاً من المعلمين والأساتذة وخاصة بلذاكر
لأستاذة مجتهد ودرية وأيضا الأستاذة بوريات خيرة اللتان لكرم لهما
كل الإجلال والتقدير

كما أهدي أيضاً عملي هذا إلى الخلة الفاضلة لم زكريا .

وفي الأخير لرحوم من الله العلي التقدير أن يجعل عملي المتواضع نفعاً
ليستفيد منه جميع الطلبة .

وعسى اللذان يوفقنا إلى ما فيه خير لنا



مقدمة:

تميزت الفلسفة المعاصرة في القرن العشرين بسرعة التغير والإنتاج في شتى المجالات الفكرية. ويمكن اعتبار الفلسفة المعاصرة هي عبارة عن مجموعة من الاتجاهات والمذاهب الفلسفية المتعددة التي ظهرت وبرزت مع بداية القرن العشرين ولهذا بات من الصعب على الدارس أو المطلع على الفلسفة المعاصرة اقتحام هذه الفلسفة والغوص في أعماقها دون الاطلاع على أبرز مذاهبها أو تياراتها وما يهمنها من الفلسفة المعاصرة على وجه التحديد الفلسفة التفكيكية، إذ يمكن اعتبارها كفلسفة قائمة بذاتها شكلت ظاهرة فريدة ومميزة بالنسبة إلى الفكر الغربي وذلك من خلال الظروف والأزمات التي مرت بها فرنسا في أواخر الستينيات كانت بمثابة إنعكاسات أساسية وهامة على فكر الفيلسوف التفكيكي دريدا.

و المنبع الأساسي لبروز اسم هذا الفيلسوف هو ما أحدثته ثورة الطلاب سنة 1968 من خلال انضمامه إليها ، وكانت هذه الثورة بمثابة نقطة تحول هامة في الفكر الغربي تاركة شرخا كبيرا في المفاهيم التقليدية وتشكيكها في الموروث الثقافي المقابل للثنائيات الأطراف وتحصلت التفكيكية على اعتراف واسع كإحدى أهم الحركات الفكرية في فرنسا وحتى أمريكا وهي في الأساس حركة ما بعد البنيوية، ويعتبر جاك دريدا الشخصية الرائدة في تاريخ التفكيكية المعاصرة ولا شك أن مقولة التفكيك تتطوي على الكثير من اللبس والغموض وهو مايفسر تواردها إشكالاتها وما يتمحض عنها من إستراتيجيات تحليلية بشكل كبير في مؤلفات دريدا ولهذا كان التفكيك كمفهوم قائم بذاته خاص بدريدا ويمكن اعتباره أنه أكثر من لغة ومن المعاني التي تؤديها هذه المفردة تتمثل في: تشويش بناء الكلمات، أو تفكيك أجزاء كل موحدا، تفكيك قطع ماكنة لنقلها إلى مكان آخر، فالتفكيكية عند دريدا لاستقر على طبيعة واحدة أو حالة ثابتة،ومن هذا المنطلق يرى هذا الأخير أنه من السذاجة الاعتقاد بوجود معنى ثابت وواضح لمفردة التفكيك، ولقد هيأت التفكيكية من هذا المنطلق الأرضية اللازمة لمقارعة النصوص وتفكيك بناها الإرتكازية العميقة. فالتفكيك يكمن في الترحال بين الدلالات ولايعترف باليقين، يبعث دائما الشك والظن في النصوص بهدف الكشف عن المستور

وتتجسد جلّ أعمال دريدا من خلال تقديسه وتمسكه الشديد باللّغة التي أُعتبرت بالنسبة له العمود الأساسي لجلّ أفكاره الفلسفية. وهذا مادفع العديد من الفلاسفة المعاصرين لإهتمامهم بمسألة اللّغة كونها المدخل الجوهرية وموضوع بارز متناول في الفكر المعاصر، وأيضاً اعتبارها ركن من أركان الفلسفة. ولذا كانت نقطة إنطلاق دريدا في نقده للتراث الغربي من خلال اللّغة محاولاً بذلك تقديمه لطرح جديد للفكر الفلسفي من خلال بحثه في اللّغة جاعلاً من ذلك إستعادة دور الكتابة وإلغاء ما كان سائداً من خلال مؤلفه : الغراماتولوجيا وما يمكن ملاحظته أن دريدا لا يهاجم الميتافيزيقا من أجل مهاجمتها وهدمها لكن حاول أن يستعمل أفكاره التفكيكية للكشف عن ماهو مستور في أحضان الميتافيزيقا، وكسر البنيات العتيقة التي مجدتها الميتافيزيقا الغربية من خلال العودة إلى النص اللّغوي ولهذا حاول تقديم إستراتيجية شاملة ليقوض بها إرث الفلسفة الغربية في شكلها الميتافيزيقي بإحلاله وتبنيه لفلسفة الإختلاف .وعليه نجد أن مقولة الاختلاف إلى جانب اللّغة يعتبران إحدى المرتكزات الأساسية للفلسفة التفكيكية لأن الاختلاف عند دريدا خصوصية لغوية بالأساس وضمن هذا الأفق حاولت طرح الإشكال التالي :مع العلم أن فلسفة دريدا هي بمثابة احتشاد وضد الأضداد الثنائية داخل النص الواحد .فهل أستطاع جاك دريدا من خلال اللّغة والاختلاف أن يتجاوز ويتخلص من الأفكار المهيمنة والمسيطرة على الفكر الغربي ؟

ولإثراء هذه الإشكالية سأتطرق إلى مجموعة من التساؤلات الجزئية وهي :

- أين يتجلى موقف جاك دريدا من المفاهيم الميتافيزيقية ؟
- أين تكمن علاقة اللّغة بكل من الاختلاف والتفكيك ؟
- هل يمكن اعتبار الاختلاف منفذا للخروج من سيطرة مركزية الكلمة ؟

وحاولت معالجة هذا الإشكال مع اختياري لعنوان البحث التالي :اللغة وسؤال الاختلاف عند جاك دريدا .

واعتمدت في خطة بحثي هذا على ثلاثة فصول تضمن كل فصل على مبحثين وعناصر .

الفصل الأول : مدخل حول التفكيرية تضمن هذا الفصل مبحثين تحدثت فيهما عن مفهوم التفكيرية كمفهوم أساسي التي بنيت عليه الفلسفة التفكيرية، كما تطرقت إلى نشأة التفكيرية والأسباب التي دفعت إلى ظهورها وبروزها على أرضية الفلسفة إلى جانب الفلسفات السابقة، بالإضافة إلى أهم المرجعيات الفلسفية لجاك دريدا. وكيف تأثر بسابقيه من الفلاسفة والمتمثلة في كل من: فريدريش نيتشه، مارتن هايدجر، إدموند هوسرل .

أما الفصل الثاني: وكان تحت عنوان اللّغة في فلسفة جاك دريدا تناولت في هذا الفصل باعتباره هام بالنسبة لموضوعي المطروح عن اللّغة وتجلياتها في فلسفة دريدا الذي قسمته هو الآخر إلى مبحثين المبحث الأول: تجسيد اللّغة عند دريدا في كل من التفكير، الكتابة والأثر. أما المبحث الثاني : ارتأيت فيه إلى تقديم إستراتيجية تفكيرية تأسست على يد جاك دريدا محاولا من خلالها رفض ميتافيزيقا التراث الغربي فكانت هذه الإستراتيجية بالنسبة إلى هذا الفيلسوف مؤسسة على نزعة عرقية إيدولوجية تقوم بإقصاء طرف من أطراف الثنائيات المتقابلة وخاصة باعتبار التفكير بطبيعة الحال توجه ثوري يحاول قلب التضاد الكلاسيكي القائم .

أما الفصل الثالث: كان تحت عنوان هو الآخر حول الاختلاف عند جاك دريدا تضمن أيضا مبحثين المبحث الأول: كان يحتوى الاختلاف في الفكر التفكيرية حاولت من خلاله تقديم مفهوم الاختلاف عند فيلسوفنا الذي بصدد دراسته وبيان من خلاله المكانة الأساسية لهذا المفهوم في الفلسفة التفكيرية، وتقديم المبحث الثاني: والذي تمحور حول ثنائية الحضور والغياب موضحة من خلالها كيف كان الحضور مسيطرا في الفلسفة ما قبل دريدا وهذا مادفع به إلى قوله بفلسفة مغايرة مخالفة للفلسفات السابقة الفلسفة التي تؤمن بالغياب بما هو غائب. مهمش بالمسكوت عنه وإقراره وزعمه بأن اللّغة ماهي إلاّ عبارة عن اختلافات فيما بينها، أما المبحث الثالث تطرقت فيه هو الآخر إلى تقويم الفلسفة التفكيرية بوجه عام فلا شك أن كل فلسفة بنيت على أنساق فلسفية معينة خاصة وهذا ما يجعلها عرضة لبعض الإنتقادات الموجهة لها. ولهذا قدمت من خلال بحثي بعض الإنتقادات الموجهة للفلسفة

التفكيكية وفي الأخيراً قدمت من خلال هذا البحث الذي تم إنجازه بخاتمة كانت بمثابة محصلة نهائية والمكملة لبحثي هذا وكانت عبارة عن جملة من النتائج التي اهتمت إليها، واتبعت المنهج التحليلي في تجسيد هذه الخطة لتحليل المفاهيم الأساسية والرئيسية التي تبلورت حولها جلّ أفكاره الفلسفية. ووجدت بعض الدراسات حول هذا الموضوع كدراسة : مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الموسومة بـ: أحادية اللّغة في الفلسفة الغربية المعاصرة (جاك دريدا) نموذجاً، وأيضاً دراسة مذكرة تخرج لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الموسومة بـ: فلسفة الحضور والغياب عند جاك دريدا.

وأردت أن أتعلم في هذا الموضوع أكثر من خلال هذه المذكرة التي بين يدي المعنونة بـ: اللغة والسؤال الاختلاف عند جاك دريدا. و بفضل توجيهات وارشادات الاستاذ المشرف خوني ضيف الله الذي أتوجه له بالشكر لإشرافه على إنجاز هذا البحث كانت عوناً لي في إنهاء هذه المذكرة.



مدخل
حول
التفكيكية

الفصل الأول

الفصل الأول: مدخل حول التفكيكية

اقترن اسم جاك دريدا بالفلسفة المعاصرة وعلى وجه التحديد بمشروعه التفكيكي ومن بين القضايا الأساسية التي راودت الفكر التفكيكي في هذا العصر نظرتة المعادية إلى الميتافيزيقا الغربية وما قام به هذا الفيلسوف نقده اللاذع للمقولات الفكرية التقليدية والعمل على خلخلة وتفكيك وتحطيم كل النتائج المتوصل إليها من خلال اعتماده على ما أسماه دريدا بـ: المركزية العقلية. وانطلاقاً مما ذكر آنفا لهذا التمهيد المختصر نطرح الأسئلة التالية:

ما المقصود بالتفكيك؟ وما الدافع الذي أدى إلى بروز التفكيكية؟ وتم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين: المبحث الأول: مفهوم فلسفة التفكيك، المبحث الثاني: نشأة الفلسفة التفكيكية قسمته إلى عنصرين أولاً: السياق التاريخي للفلسفة التفكيكية، ثانياً: المرجعيات الفلسفية لجاك دريدا والمتجسدة في: أ- فريدريش نتشه، ب- مارتن هيدجر ، ج- إدموند هوسرل.

المبحث الأول : مفهوم فلسفة التفكيك

جاء في معجم " جميل صليبا " التفكك dissociation عند علماء النفس هو انفصال العناصر الذهنية بعضها عن بعض فالعنصر المرتبط بأحد الأشياء مرة وبغيره أخرى يميل إلى الانفصال عن كل منهما حتى يصبح عنصرا مجردا كما في التجريد فإن التجريد ناشئ عن التفكك. (الصور الذهنية المترابطة) ويمكن تسمية ذلك بقانون التفكك.¹ (loi de Dissociation) . فالتفكك يعد بمثابة نظرية نقدية شاملة تهدف إعادة قراءة النصوص الفلسفية، والمعرفية، والثقافية فالتفكيكية في روحها وفلسفتها ترفض التعاريف، والقواعد، والأصول وتعمل تقنياتها العدلية لزعزعة الأسس الميتافيزيقية لكل ما هو ثابت ومطلق. ويرى أن تلك النصوص تخضع لعمليات معقدة ناتجة عن علاقات النصوص المتناصبة بعضها مع بعضها الآخر²، ففكرة التفكيك عند دريدا لم تأخذ معناها المراد لها إلا في قاموس (lettré). حيث وجد دريدا مفردة (Déconstruction) التي تعني حسب هذا المقتطف الذي أورده دريدا في رسالته إلى صديق ياباني (Déconstruction) فعل تفكيك مفردة نحوية، تشويش بناء كلمات عبارة (Déconstruire)³ .

أولا - تفكيك أجزاء كل موحد تفكيك قطع ماكنة لنقلها إلى مكان آخر

ثانيا- مصطلح نحوي تفكيك الأبيات وإحالتها شبيهة بالنثر عن طريق إلغاء الوزن في طريقة الجمل ما قبل المفهومية يبدأ أيضا بالترجمة وتكمن إحدى مزاياها في عدم الاحتياج للتفكيك أبدا

ثالثا: (se déconstruite) التفكك والتخلع فقدان الشيء بنيته ومنه فالتفكيك الذي صكه دريدا من طابعه الخاص نجد معناه أكثر وضوحا في قاموس (lettré) .

يقول جاك دريدا : " فعثرت عليها في قاموس lettré وكانت مؤدياتها النحوية واللغوية والبلاغية مربوطة فيه بأداء مكائني وبدا لي هذا الالتقاء مفرحا، شديد التلاؤم مع من

¹ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، ط1، 1982، ص 317.

² - مروان علي حسين أمين: التفكيكية عند جاك دريدا، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف- الأشرف، مجلد 2، العدد 41، ص 460.

³ - إبراهيم بن طيبة : التفكيك وسياسة الغفران عند جاك دريدا، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016- 2017، ص.ص 08-09.

كنت على الأقل أن ألمح إليه¹. ومنه يفهم من خلاله أن دريدا يفضل استخدام تفكيكات لنصوصه المتنوعة والمختلفة وهذا ما يجعل التفكيك في الواقع لا يعد مذهباً، ولا نسقا متكاملًا، أو رؤية عامة تقوم على ثوابت محددة وهو إن كانت تتسبب أبوته إلى هيدجر بفعل التماثل بين مفهوم النقص، ولفظة التفكيك (Déconstruction) فإنه بعيد كل البعد عن تشكيل رؤية فكرية عميقة أو شق طريق فلسفي جديد كما تاق إلى ذلك هيدجر أكبر فلاسفة الوجود ومن عمالقة الفكر، ولهذا عمل فيلسوف التفكيك فكره التقويضي للدراسة والإطلاع على نصوص غيره من الفلاسفة ولا يترك مجالاً معرفياً أو فنياً إلا ويحاول أن يثبت فيه روح التناقض بين المقدمات والنتائج، أو بين المصدر المفترض والفروع المنبثقة منه، فالجديد الذي يطمح فيه دريدا لا يمكن أن يكون بحكم منطق التفكيك نفسه². بمعنى أن العملية التفكيكية ترمي في وجهة نظر دريدا إلى كشف التناقض المبدئي بين مسلمات التراث الغربي المسكوت عنه، وبين الواقع الفعلي للممارسات الخطابية في شتى مجالات المعرفة وبهذا يبرز لنا دريدا التناقض الغريب القائم بصدد العلامة اللغوية التي تعرف: " بأنها الإشارة إلى معنى الغائب وتنسب إليها في الوقت نفسه وظيفة ثانوية بالنسبة لما لا يوجد إلا بها ليدل ذلك على أنها البداية الحقيقية وليس المعنى الذي تشير إليه، كما أن ارتباطها بالمدلول الذي يرى بدوره إلى المرجع الخارجي لا يقوم على أساس من المنطق أو التبرير³. فموقف دريدا لا هو بمثالي ولا هو بمادي، فهو لا يفصل بين الدال والمدلول وليس هناك أسبقية بين اللغة ومعناها أو بين الفكرة على العلامة، ولا الصوت الحي على مادية الكتابة إذ ليس هناك إلا علاقات واختلافات داخل اللغة. وعلى هذا النحو فالتفكيك يزحزح كل الأرصفة، يقوض أركانها، ويرفض المعنى الواحد ويقوم على تعددية المعاني، هذا لا يعني أن التفكيك بمثابة الهدم السلبي بل هو خلخلة الطبقات المترسبة ومحاولة لإظهار ما تحتها، فالتفكيك يريد أن ينظر في الثنائيات أي العمل والممارسة داخل الثنائيات. الداخل/الخارج، الحضور/الغياب، الكلام/الكتابة... وغيرها. من خلال هذه الممارسة والنقد

¹ - إبراهيم بن طيبة: التفكيك وسياسة الغفران، ص 09.

² - الهيئة العلمية، أوراق فلسفية، منتدى سور الأزيكية، جامعة القاهرة، العدد الثالث عشر، 2005، ص. ص 15 - 16.

³ - المرجع نفسه: ص 24.

الداخلي والعمل على تفكيك هذه الثنائيات حيث لا خارج إلا وكان داخل النص¹. كما يرى دريدا أن كل نص يتضمن على قوى عمل تبرز توتراته فيفكك ذاته لأن هذه القوى لا تقدم نفسها مباشرة، فالنص الحقيقي هو الذي يخفي قاعدة لعبه. فكل نص يحمل في طياته أسباب تفككه ويخلخل نفسه بنفسه وهنا يظهر ما كان غائبا. كما عرف " كريستوفر نوريس" التفكيك بأنه: " هو تفتيش يقظ عن السقطات أو نقاط العمي أو لحظات التناقض الذاتي حيثما يفضح النص لا إراديا التوتر بين بلاغته ومنطقته ما بين ما يقصد قوله ظاهريا وما يكرهه على أن يعنيه رغما عنه"². أي يعني ذلك أن التفكيك موجه بالأساس لخلخلة النصوص وتوجه لها ضربات من الداخل بهدف الكشف عن ما هو مسكوت عنه، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار التفكيك لا يمكن أن يختزل إلى أدوات منهجية أو إلى مجموعة القواعد والإجراءات القابلة للنقل، فيكفي القول كل حدث تفكيكي يظل فريدا أو بأية حال متموقعا بأقرب ما يمكن داخل قلب النصوص يقول " دريدا ": " إن كلمة التفكيك شأن كل كلمة أخرى، لا تستمد قيمتها إلا من اندراجها في سلسلة من البدائل الممكنة فيما يسميه البعض ببالغ الهدوء سياقاً"³. وعليه فلفظ التفكيك فهو ليس فلسفة ولا علما، ولا منهجا، ولا مذهباً فهي حركة ما بعد حدثية تحاول أن تهز الأساسيات الميتافيزيقية للحضارة والفلسفة الإنسانية، فهي في الأخير نظرية تقنية شاملة لإعادة قراءة النصوص الفلسفية، والمعرفية، والثقافية وغيرها من النصوص الإبداعية المتنوعة.

¹ - حبيبة دباش: فلسفة الحضور والغياب عند جاك دريدا، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، مذكرة ماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص. ص 73-74.

² - مروان علي حسين أمين،: التفكيكية عند جاك دريدا، ص 460.

³ - المرجع نفسه: ص 461.

المبحث الثاني: نشأة التفكيكية

عرفت التفكيكية كحلقة مميزة وهامة في حقل الفلسفة بشكل واضح وبارز مع الفيلسوف جاك دريدا لعب دورا هاما من خلال فلسفته التفكيكية فهذه الأخيرة ليست نظرية واضحة المعالم، وإنما هي ممارسة ونشاط وعملية إنتباه وحذر داخل النصوص، فالتفكيك يعد بمثابة توجه فلسفي في قراءة النصوص وطرح القضايا ولهذا يريد دريدا إزاحة القناع عن الميتافيزيقا الغربية بهدف كشف تناقضاتها وعدم نهايتها، وذلك بإعادة النظر في بنية المفاهيم الفلسفية الميتافيزيقية التي إنبنى عليها الفكر والفلسفة الغربية، كما يبدو أن الأرضية التي إنبتق منها التفكيك جاءت في الواقع كمرحلة من مراحل جدل المنهجات وصراعها ولا سيما أن المناخ الفكري والفلسفي الذي جاء فيه دريدا كان موسوما بإنتشار النموذج اللغوي اللساني وسيطرت البنيوية حينها . ولهذا سوف نتطرق إلى السياق التاريخي للفلسفة التفكيكية بالإضافة إلى أهم المرجعيات الفلسفية لجاك دريدا.

أولاً: السياق التاريخي للفلسفة التفكيكية

إن الدارس للفلسفة التفكيكية لا يستطيع أن يغض النظر عن الأجواء التي نشأت فيها هذه الفلسفة والتي احتضنت ثنائية جديدة متمثلة في جدلية الشك واليقين، بعد أن كان هذا الأخير مسيطراً على العقول طيلة القرنين من الزمان، القرن الثامن عشر إلى غاية القرن التاسع عشر وازداد قوة مع ظهور نظرية " نيوتن " التي تؤكد على إطلاقية العقل وبقين قوانينه المتعلقة بالكون والعالم، لكن الجدلية القائمة على الشك واليقين تكشف عن الصراع الدائر بين الخطأ والصواب، والشك في سلطة طرف على طرف آخر يعني بالضرورة تجلي اليقين في سلطة الطرف الآخر، وهذا ما دعا إليه العديد من العلماء والفلاسفة وخاصة

فلاسفة العصر الحديث من خلال العودة إلى المنهج التجريبي قصد فك هذا الصراع¹. وهكذا استمرت التجريبية كمنهج لتحقيق المعرفة اليقينية إلى أن شككت الفلسفة الألمانية بزعامة *إيمانويل كانط في قدرة الخارج وحده على تحقيق تلك المعرفة، فأصبحت التجريبية بمنهجها موضع شك قابلة يقين في قدرة العقل بمقولاته الميتافيزيقية العليا والسابقة الوجود على ذلك ثم بدأت بدورة جديدة مع عصر العلم والتكنولوجيا نقلت الثقل مرة أخرى إلى التجريبية والمنهج العلمي في ظل هذه الدورة الجديدة للثنائية ظهرت *البنوية وازدهرت لفترة

¹ - فريدة غيو: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى، جامعة منتوري، قسنطينة، دط، 2002، ص 188.

* إيمانويل كانط E- kant، (1724-1804) من أهم وأبرز فلاسفة اثاره للجدل في تاريخ. أحدث تأثيراً عارماً في أوروبا والبلدان الناطقة بالانجليزية على السواء، وترتفع هامة مذهبه الفلسفي كأحد الشواهد في تاريخ الفكر، ورغم هذا لم يؤلف كتبه التي تركزت شهرته عليها إلا بعد أن تجاوز الخمسين من عمره فنشر: نقد العقل الخالص 1781- مقدمة لكل ميتافيزيقيا مقبلة ممكن أن تصير علما- نقد العقل العملي 1788- مشروع السلام الدائم 1795- ميتافيزيقا الاخلاق 1797... الخ (خضر إ - حيدر: إيمانويل كانط الفيلسوف الشاهد على الحداثة والناقد لعيوبها، الاستغراب ، د ب ، دع، 2017، ص.ص 1-314)

*البنوية: موضوعها منظم- لها صورتها الخاصة- ووحدتها الذاتية. فتكون أي : زيادة في المبنى، زيادة في المعنى فيؤدي كل تحول في البنية الى التحول في الدلالة. لان كلمة البنية في أصلها تحمل المجموع والكل، وأنها عبارة عن ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ماعدها، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه.(محمد بن عبد الله بن صالح بن بلعير: البنوية(النشأة والمفهوم)، مجلة الأندلس للعلوم الانسانية والاجتماعية، دب، المجلد 16 يوليو، العدد 15، 2017، ص 239.

في أحضان العلم والتجريب، ومن هنا يتفق مؤرخو الدراسات اللغوية والأدبية على الربط بين البنيوية بشقيها اللغوي الأدبي، والمذهب التجريبي. بل يذهب البعض إلى التوحيد بينهما¹. وللوقوف عند دراسة البنيوية من الناحية اللغوية تبين لنا أن هذه الأخيرة تنحدر من لفظ بنا- يبني- بناء فهي إذن الصورة أو الهيئة التي تشيد عليها بناء ما، وكيفية تركيب ذلك البناء وأيضا كيفية تجميع هذه المواد وتوظيفها وتأليفها وتركيبها، أما المعنى الاصطلاحي الوضعي: " فالبنيوية هي النظر في التصميم الداخلي للأعمال الأدبية بما يشمله من عناصر رئيسية تتضمن الكثير من الرموز والدلالات. بحيث يتبع كل عنصر عنصر آخر."² ومنه يمكن القول: أن المدرسة البنيوية ظهرت في العديد من نواحي الحياة وخاصة ظهورها في النقد الأدبي". وما يهمنا من النسق البنائي بوجه عام أنه يربط بين الأفكار والأشياء. كما أن هناك إلتقاء بين بناءات الفكر وبناءات الواقع عند معظم البنائيين. فظهرت البنائية أولا كمنهج للبحث في العلوم وسيطرت العلم لمدة طويلة³. وازدهرت لفترة في أحضان العلم والتجريب ومع تطور التكنولوجيا، والإكتشافات العلمية كتطور أسلحة الدمار الشامل وظهور الحربين العالميتين أكد للإنسان أن المنهج العلمي في حد ذاته مشكوك فيه وهذا ما أدى إلى ظهور رد فعل ضد نقد السلطة العلمية أو اليقين العلمي، والإحساس بخديعة العالم والتكنولوجيا وغير ذلك والشك في كل شيء، حيث رفع نيتشه رأيته وأصبحت الحقيقة وهما من الأوهام و العبثية والعدمية ركنا من أركان الحقيقة والنتيجة أنها لا مكان للمعرفة لأن التغير والتحول يفترض ما هو ثابت وجوهري، وقد أطلقت عليه الفلاسفة منذ القدم أسماء متعددة مثل: " المطلق" ، "الجوهري"، " الثابت"، " العلة الأولى" مركز الوجود وغيرها. فالظروف التي مرت بها فرنسا وقيام ثورة الطلاب 1968 التي انضم إليها الكثير

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، العدد 232، 1998، ص 299.

² - عمر السنوي الخالدي: البنيوية عوامل النشأة وأسباب النقص، دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية، شبكة

الألوكة، دب ، د ع ، 17 - 04-2017،

ص 02.

³ - عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، دار المعارف، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، د ط،

1989، ص 23.

من الكتاب والمفكرين، والمتقنين الفرنسيين ورفض أقطاب البنيوية الانضمام إليها وعلى رأسهم: *لوي ألتوسير وأثار ذلك سخط الكثيرين من المتقنين الذين رأوا في ذلك الموقف علامة على تراجع البنائية¹. والتف الشباب المثقف حول " دريدا " وتمثلت آرائه موقفا نقديا ومعارضا للبنائية التقليدية إن صحت هذه التسمية، واعتبروه ممثلا لاتجاه فكري جديد يتجاوز تلك البنائية ويتخطاها. واعتبرت محاضرة " جاك دريدا " في جامعة "جون هوبكنز". حدا فاصلا بين عصرين ثقافيين يمثل بذلك بانحسار عصر البنيوية التي هيمنت على الثقافة القارية. (أوربا عدا بريطانيا). وبداية بزوغ فجر " التفكيكية" التي سنتلقى حماسا ملفتا من قبل الأمريكان، إذ نلاحظ ظهور مدرسة أمريكية في التفكيك ضمت أقطاب عديدة وعلى رأسهم: "بول دي مان"². أما عن " جاك دريدا " فبدأ بحثه في التشكيك بالمقولات الميتافيزيقية الأساسية للفلسفة الغربية منذ " أفلاطون". وما قام به " دريدا " هو رفضه في بحثه الإعتزاف بالمركزيات، فقصد تقويض الثنائيات المتقابلة التي ينطوي عليها الفكر الغربي مثل: (مرأة/ رجل)، (الحقيقة/ الزيف)، (المعنى/ اللامعنى)، (المركز/ الهامش) فلا وجود له مركز خالص على اعتبار أن التضاد الخالص لا وجود له، وأن كل موضوع يحمل داخله شيئا من موضوع يبدو مضاد له³. ومنه يمكن اعتبار أن ما بعد الحداثة عامة تفكيكية لنماذج المعرفة، ولهذا احتل " جاك دريدا " مكانة أساسية ضمن جيل الفلاسفة الفرنسيين وتكمن أهمية التفكيكية في الميتافيزيقا وبها شكل ظاهرة فريدة بالنسبة للفكر الغربي و نجح التفكيك في تحقيق شعبية غير مسبوقة في تاريخ الحركة النقدية الأمريكية آنذاك

* لوي ألتوسير I. ALTHUSSER : فيلسوفا ماركسيا. ولد في الجزائر . درس في مدرسة الأساتذة العليا في باريس التي أصبح بعد سنين أستاذا فيها، فيعتبر ماركسيا بنيويا، أما عن أحد مؤلفاته: قرائه المبكرة لرأس المال (كتاب لماركس)، مقالته حول: الايديولوجية وأجهزة الدولة،.. وغيرها، أنظر: <https://www.wikipedia.org/>، 17.00/2019، 05-18

1- جاك دريدا والتفكيك: أحمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ص 16.

2- مجموعة باحثين: الفلسفة الفرنسية المعاصرة، جدل التمتع والتوسع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 327.

3- جاك دريدا- إليزابيث رودينيسكو: ماذا عن غد، " محاوره "، ترجمة : سلمان حرفوش، دار كنعان، دمشق، ط1، 2008، ص 6.

وانطلاقاً من هذا الأساس يعد الخطاب الفلسفي الديردي خطاباً مفككاً من حيث أنه يرمي إلى إعادة النظر في الخطاب الغربي الميتافيزيقي الذي تجاوزه العصر وتجاوزته الحقيقة. وعليه ففلسفة دريدا من أشد وأعقد الفلسفات المعاصرة من حيث القوة البلاغية والمعالجة النظرية، وقراءاته للنصوص الفلاسفة والوقوف على المواطن الفكرية ولذا يبقى فكر دريدا فكر فريد من نوعه في الفلسفة المعاصرة.

ثانياً: المرجعيات الفلسفية لـ: جاك دريدا

ظهرت أول بوادر التفكيك عند دريدا من خلال إطلاعه ودراسته للعديد من الفلسفات وتأثره وتمسكه الشديد ببعض الفلاسفة ومن بينهم نجد:

أ-: *فريدريش نيتشه: يمكن اعتبار الفيلسوف النيتشوي من منابع الوجودية المعاصرة. كان تائر من الطراز الأول، وناقداً، وتأثير نيتشه على عصره تأثيراً عميقاً وخاصة في ألمانيا وفرنسا. فالدور الذي قام به نيتشه أنه لعب على تطور الإنسانية، وأصبح الفرد بالنسبة له أن يغوص في أعماق الإنسانية بتاريخها كلها، ولهذا ينتسب جاك دريدا لهذا الفيلسوف حين يسعى لإحلال مفهوم اللعبة في مفهومي الكون (ETRE) ، والحقيقة (VERITE) الماورائين فيندفع كل من نيتشه ودريدا في لعبة الدلالات متعددة المعاني، وبها يوجه الفيلسوف التفكيكي تفكيكته نحو التجربة اللعابية يقول جاك دريدا : " إن نيتشه بعيداً عن البقاء ببساطة في الميتافيزيقا. ساهم إلى حد بعيد في تحرير الدال من تبعيته، أو من اشتقاقه بالنسبة للوغوس، وللمفهوم المرتبط. مفهوم الحقيقة أو المدلول الأول بأي معنى يجري فهمه"¹. فالدافع لنيتشه يبين تطور الميتافيزيقا إذ أصبحت قابلة للتأويل وأن قراءة دريدا للنص النيتشوي تتجه بطريقة غائبة نحو تحرير الدال والكتابة وهذا ما نلمسه في فلسفته، كما عمل نيتشه على قلب ثنائية (كلام/ كتابة) ويعطي الأهمية والأولوية للكتابة يقول نيتشه: "مع صوت جهوري في الحجرة نكاد نكون عاجزين عن التفكير بأشياء دقيقة"²، فتضل الكتابة مقدسة بالنسبة له بعدما كانت مرفوضة منذ عهد أفلاطون كما أعلن نيتشه عن موت الإله الذي يعد بمثابة أحد التمرکزات العقلية وهنا يكمن دحض ورفض

* فريدريش نيتشه: شاعر، وموسيقي، وعالم اللغة الكلاسيكي، وفيلسوفاً، ألبس أفكاره لغة وكره، قدم كتاباً رئيسياً وهاماً تمثل في: هكذا تكلم زرادشت. الذي يعد أفضل ما قدمه من وجهة نظر أدبية، وتكمن فلسفته أنها بمثابة فلسفة رمزية، غامضة و مؤثرة، تدعو القارئ للبحث عن مغزاها (وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، التنوير، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ص 371)

1- أسامة الحاج: التفكيكية. دراسة نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1996، ص. ص 67- 70.

² - حبيبة دباش: فلسفة الحضور والغياب عند جاك دريدا، ص 27.

المفاهيم التي كانت سائدة واعتبارها تمركزات أساسية وجوهرية فهي عند نتشه يمكن دحضها والاستغناء عنها وما يمكن اعتباره حقيقة فهو عند هذا الفيلسوف الننتشوي مجرد أوهام، وهنا يكمن تأثير الفيلسوف الدريدي بالفيلسوف الننتشوي من خلال فكرة أولوية وأسبقية الكتابة عن الكلام، بالإضافة أيضا إلى رفض نتشه التمركزات العقلية وهذا ما دفع بدريدا إلى تفكيكها وزعزعتها ولهذا يعتبر دريدا أن نتشه ملهما له، يقول دريدا: " فالتفكيك يستلزم دائما الإثبات، كما حاولت مرارا أن أشير إلى هذا، موظفا في بعض الأحيان علم الاصطلاح النيتشوي"¹. ومنه يمكن اعتبار أن دريدا يشترك في أفكاره على نحو أساسي مع نيتشه من خلال عدم الثقة المتواترة في الميتافيزيقا ككل، والشك في المعنى والوجود، ومعنى الوجود: " والخطاب الفلسفي بوصفه خطابا شكليا بلاغيا رمزيا يمكن حل شفرته".

ب- *مارتن هيدجر HEIDGGER: من أبرز وأهم فلاسفة *الوجوديين من غير شك.

أقام ببناء الوجودية كمذهب شامخا يصارع أكبر المذاهب الفلسفية التي عرفت على مدى التاريخ، كما وضع مذهبا كاملا في الوجود بوجه عام، فبحث عن موضوع الفلسفة الأولى فوجودية هيدجر تعني: بالموجود عامة، منظور إليه في كله وبوصفه كلا، وأقامت فلسفته

¹ - حبيبة دباش: فلسفة الحضور والغياب ، ص 34.

* مارتن هيدجر: M- HEIDEGGER (1889 - 1976)، فيلسوف ألماني معاصر، المؤسس الحقيقي للوجودية، والموضوع الرئيسي التي تدور حوله كل فلسفته هو الوجود، ومهمة الفيلسوف هي: ايضاح معنى الوجود والوجود المنهج الذي يستخدمه هيدجر في سبيل ذلك هو ك الإشارة لأن الوجود لا يقبل البرهان للتدليل عليه، بل الايضاح والكشف وذلك بالإشارة إليه ذلك أن الوجود اسم مشترك بين كل الأشياء والأحياء هو يشمل المسائل نفسه الذي يسأل عن معنى الوجود، ومن المستحيل النظر إليه من الخارج، أو استنباطه من شيء أسبق، لأن لا شيء أسبق عليه. (عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ط1، 1984، ص.599-600.

**الوجودية: أحدث المذاهب الفلسفية، وفي الوقت نفسه هي من أقدمها، أحدثها لأنها لها مركز الصدارة والسيادة في الفكر المعاصر، وهي أصدق تعبير عن حالة القلق العام الذي تملك العالم الشعور الحاد به بعد الحرب العالمية الثانية، فلقد كان في هذين الحادثتين أثر بالغ في اشعار الانسانية بالمعاني الكبرى التي تولف نتيجة وجودها وفي وضعها بصورة كلية امام أكبر مصدر من مصادر قلقها ، فالقلق، والمسؤولية ، وموقف الانسان في العالم، والفعل الخالق هذه كلها هي: المعاني الكبرى التي تتطوي عليها الوجودية، أي أقدم المذاهب الفلسفية لأن العنصر الرئيسي للوجودية هو: أنها فلسفة تحيا الوجود، وليس مجرد تفكير في الوجود.(عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1400هـ، 1980، ص.ص19-20).

على الوجود المبنية على تحليل الوجود العيني المفرد. باعتبار أن هذا الوجود أسبق من الماهية. وتعد هذه القضية بمثابة الأساس الأعظم في المذهب الوجودي¹. والمطلع على مؤلفات دريدا يلاحظ التطابق الكبير بين فلسفته وفلسفة هيدجر وفي هذا الصدد يقول جاك دريدا: " إن ديني لهيدجر هو من الكبر. بحيث سيصعب أن نقوم هنا بجرده والتحدث عنه بمفردات تقويمية أو كمية، أوجز المسألة بالقول: أنه هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا، وعلمنا أن نسلك معها سلوكا إستراتيجيا يقوم على التموضع داخل الظاهرة وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل"². ف: هيدجر من أهم الفلاسفة الذين اعترف دريدا بفضلهم والتأثر بهم. وكانت رؤية هيدجر الفلسفية آنذاك رؤية واضحة المعالم لنظرية اللغة والأدب، وفي نفس الوقت كانت رؤية دريدا للغة والأدب فلسفية الجذور، والواقع أن التداخل بين الدوائر هنا يصل إلى حد التطابق بين بعض تفصيلات الإستراتيجية التفكيكية والرؤية الهيدجرية الفلسفية عن: المعرفة، اللغة، والأدب، وقد وصلت درجة التداخل بين المجالين ومباشرة التأثير إلى استخدام "دريدا" في الطبعة الفرنسية الأولى لكتابه الغراماتولوجيا لكلمة التدمير المحورية في فلسفة " هيدجر فيشن هذا الأخير هجومه العنيف ضد التقاليد باعتبار أن اللغة ومعرفة الوجود في حالة نشوئه وتأسيسه الأولى يصطدم بحائط التقاليد من هنا كان التدمير عند هذا الفيلسوف نشاطا إيجابيا يهدف إلى كشف أو فضح الزيف للوصول إلى الشكل أو الأشكال الأولى للوجود. وأيضا حماية اللغة من التحجر والتكلس. يقول دريدا : " ينبغي إذن أن نسلك مسلك هيدجر ونتبعه في السؤال الذي طرحه عن الوجود وطرحه وحده، وذلك من أجل النفاذ إلى الفكر الصارم لهذا الاختلاف الغريب، وتحديدته تحديدا دقيقا"³، فيعتبر " دريدا نصوص هيدجر بالغة الأهمية من الناحية النقدية حيث تريد نقد الميتافيزيقا وتهديم أركانها من الداخل. فيعبر نص هيدجر عن إرادة تفكيك النزعة الإنسانية وتجاوز فلسفة الذات والذاتية والعودة بالفكر إلى مساره الصحيح للتفكير في الوجود والإنسان بعيدا عن الأطر الفكرية القديمة أي الميتافيزيقا. ومنه يمكن أن نعتبر أن مصطلح " التفكيكية" عند دريدا يلمح بتعمد وبوضوح إلى مشروع تقويض " تاريخ الأنطولوجيا " الذي

¹ - عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 88.

² - مروان علي حسين أمين: التفكيكية عند جاك دريدا، ص 459.

³ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص.ص 301-306.

هو في الأصل مشروع هيدجري ففي إعادة تقويض لهيكل الفلسفة الغربية باكملها يؤكد دريدا ان الزمن الخالص ما زال يمنح الأولوية والأسبقية في حساباته إلى مسألة "الوجود"، ومن أجل إصلاح فلسفة الأحكام المسبقة السائدة في الفكر الغربي، والتخلص منها يؤكد " هيدجر " أننا نحتاج إلى إعادة التفكير في مشكلة "الزمن" و " الحضور " وهنا يلتقي دريدا مع هيدجير من خلال هدم الميتافيزيقية ومطاردتها في القوالب اللغوية التي تحضر مقولة الحضور مقولة ميتافيزيقية، ومقولة الزمان وعلاقتها بالأنطولوجيا وبالعلاقة مع هذه فإن تفكيكية دريدا تكون بمثابة إستجابة لميتافيزيقا الحضور، ويمكن أن تتميز بوضوح من خلال اهتمامه الرئيسي في معالجة مسألة اللغة في الفكر الغربي¹، وعليه فهناك نقاطا مشتركة ومتداخلة بين الفيلسوفيين، لفك ارتباطات مركزية للفلسفة الغربية واستمرار على وجود المعنى في النصوص، والبحث عن المصادر الكامنة في وحدة الوجود، وإحياء الكتابة مجددا، واصطدام النصوص التي تعبر بذاتها عن عدم وجود حدود للعبة المعاني الحرة، ولهذا يصر جاك دريدا "على أن هيدجير ذو أهمية قصوى بالنسبة له ، وبأنه يشكل تقدما أكيدا لا سابقة عليه، تقدما مايزال من خلاله با استغلال كل موارده النقدية فالمشروع الفلسفي التفكيكي الذي دشنه دريدا نجده أنه استمد مفاهيمه وأساسياته من المشروع التقويضي لهيدجر، وكأنه هنا انقلاب فلسفي أي: الخروج من الدائرة المنغلقة والمتجسدة في فلسفة الذات، والبرغماتية... وغيرها، إلى التفكير والاهتمام بالإنسان من ناحية اللغة، والفهم، والوجود فكان هيدجير الطريق الأساسي لتدمير الميتافيزيقا ومطاردتها في مسلك التفكير وهذا ما اعترف به دريدا. ويضيف قائلاً: "إن فكر هيدجر يظل بالنسبة لي أحد أنواع الفكر الأكثر دقة. وصرامة. وإثارة وضرورة في زمننا هذا".² ومنه نلاحظ أن كلا الفيلسوفين يتحركان في ذات الفضاء المعرفي وأن أفكار هيدجر كانت بمثابة المسلك لبروز تفكيكية دريدا فعمل هيدجر على طرح مسألة الوجود الذي ظل منسي في تاريخ الفلسفة ولهذا لابد من رد الحقيقة إلى الوجود، أما دريدا تبنى هو الآخر نفس الطريق من خلال تفكيكته محاولا بذلك محاربة الميتافيزيقا.

¹ - عماد نبيل: جاك دريدا في الروح هايدغر والسؤال. دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2013، ص. ص 17-18.

² - إبراهيم بن طيبة: التفكيك وسياسة الغفران عند جاك دريدا، ص 3.

ج- *إدموند هوسرل: أما حديثنا عن تأثير هوسرل بالفيلسوف التفكيكي دريدا يكمن في قوله القائل أن: " لا شيء مما أفعله كان ممكنا بدون الاتجاه الفينومولوجي وبدون ممارسة **الرد الفينومولوجي هوسرل بالنسبة لي هو من علمني تكنيكيا ومنهجيا وانضباطا¹، إذ نجد أن دريدا بنى نظريته في اللغة على أساس تحطيم نظرية هوسرل لأنها قائمة على أساس فلسفي ذاتي قائم على الأنا واعتبار اللغة عنده إنسانية، مما أدى به إلى التفريق بين العلامة الإنسانية والطبيعية، وما نجده في نظرية اللغة عند هوسرل أن الدلالة لا تأتي من القول (الكلمات تعني)، لكن لكون أحد ما يريد لها أن تعني، ومن هذه الزاوية انطلق تأثر دريدا بهوسرل لم يكن متوقعا. فاللغة عند هوسرل يرجعها إلى الحوار الداخلي، " لأنها عبارة عن أصوات وكلام". وهذا ما نلمسه عند فيلسوفنا التفكيكي إذ تعد اللغة عنده قائمة بذاتها ويركز على استقلاليتها ويمكن الشروع في أنظمتها عن طريق الكتابة كون هذه الأخيرة قائمة بذاتها وموجودة بالقوة على الورق. كما أثرت الفلسفة الظاهرية بشكل عميق من فكر التلقي والتفكيك، وقد طور أتباع الفلسفة الظاهرية خاصة أعضاء مدرسة جنيف النقدية (نظرية أدبية) تقول: "بأن الأدب شكل من أشكال الوعي، أما النقد هو عملية شفافية متبادلة بين وعيين: وعي المؤلف المبدع ووعي الناقد الذي يجب أن يخلي ذهنه تماما من صفاته الشخصية حتى يتحقق الالتقاء التام مع وعي المؤلف"²، وهو قول: يؤدي في النهاية إلى تطوير نظرية التلقي الخاص باستجابة القارئ فالوسط الفلسفي بين الذات والموضوع الذي تؤكد الظاهرتية والوقت نفسه يؤكد بأنه لا يمكن بعملية الوعي

* إدموند هوسرل: فيلسوف ألماني، مؤسس علم الظواهر، مكتشف المنهج الظاهري، وفلسفة الظاهريات، ألف العديد من مؤلفات من بينها نجد/ فلسفة الحساب 1891- بحوث منطقية 1900، أفكار عن علم ظواهر خالص وفلسفة ظاهرية 1913- بالإضافة إلى مقالة حول الفلسفة بوصفها علما دقيقا صارما 1910- ومقالة أخرى مشهورة: علم الظواهر 1927 (فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993، ص ص 161- 162)

** الرد. الرد REDUCTION : رد الشيء حوله من صفة إلى صفة، ورد الشيء إلى الشيء، والرد عند (هوسرل): إرجاع الشيء إلى حقيقته وتطهيره من اللواحق الزائدة عليه، وهناك ردان: الرد إلى الماهيات النظر إلى ماهيات الأشياء لا إلى ظواهرها، والرد إلى الظواهر وهو موقف الفكر الذي يعد معطيات التجربة الداخلية والخارجية ظواهر لا غير. (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، ص ص 612- 613)

¹ -منير أوعشرين : قيم الحداثة في فلسفة جاك دريدا، كلية العلوم الاجتماعية، شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة وهران2، 2015- 2016، ص 28.

² - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 150.

بالشيء أن توجد دون وجود الشيء فإنه الشيء ذاته أو الموضوع لا يمكن أن يوجد دون إدراكه، وهو شطر جوهري في تلك العلاقة يطوره أصحاب مدرسة التلقي فيما بعد. وتتجلى نظرية التلقي ودور القارئ عند المدرسة التفكيكية فتبدأ هذه الأخيرة مناقشتها الإستراتيجية من خلال دور القارئ. ورد فعله أمام النصوص¹، فالقارئ يعد بمثابة الركيزة الأساسية والجوهرية للإطلاع على النصوص وتفكيكها فموقف دريدا من فلسفة "هوسرل" كونه الموضوع الأخير فهو يمكن أن يكون المحصلة النهائية أي خاتمة التمرس التفكيكي ومحصلة الأولى من فكر فالعلاقة الأولى بهوسرل دور عظيم في صياغة مشروع التفكيك ونقد الميتافيزيقا الغربية بأكملها. ومنه يمكن اعتبار أيضا أن البداية الفلسفية الأولى لدريدا: لم تكن ممكنة لولا فينومولوجيا هوسرل فهناك علاقة متشابكة ومتداخلة بين قراءة هوسرل ومسألة التفكيك أي من ناحية النصوص والعلامات، وهذا ما نلمسه من خلال مؤلف دريدا، الصوت والظاهرة² وهو الفصل الفينومولوجي الذي لم يكتبه دريدا في مؤلفه الغراماتولوجيا، أو لعله هو فاتحة البيان المعلن في الوقت نفسه قراءة لتاريخ الفلسفة بما هو تاريخ الميتافيزيقا. فمشروع نقد الميتافيزيقا بواسطة استعادة مسألة الكتابة ووصفها الفلسفي عند دريدا فنجده مشتبكا اشتباكا حميما بتأويل البنية الميتافيزيقية لفينومولوجيا هوسرل ولهذا كان التداخل بين كل من دريدا وهوسرل في مجال الحقل المعرفي إذ نجده واحد لكن تفاعل كل منهما مختلف، فيدرس هوسرل بعمق مفهوم "العلامة" وهو موضوع الأثير بالنسبة لجاك دريدا فنجد هوسرل يقسم العلامة إلى: أ- التعبير: مقصد المتكلم المعنى المجرد للعلامة، ب- الإشارة: لها وظيفة تحدث دون معنى مقصود كما حاول هوسرل أن يؤسس صورة واقعية لغوية، وهذا ما دفع دريدا إلى تفكيك نص هوسرل أو بالأحرى يقوم بتفعيل الدلالات المضمرة والمتناقضة التي تجعل النص متخلخلا وغير منسجم، ففلسفة اللغة عند هوسرل لا يمكن فهمها إلا بالانتباه حول: "الاختلاف الفينومولوجي" الذي يشير إلى الفرق بين المعطي وغير المعطي، أو بين ماهو حاضر للوعي بدون وسائط.

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 321.

² - جاك دريدا، الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومولوجيا هوسرل: ترجمة: فتحي إنقزرو، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص. ص 09-10.

وما يغيب او ما يحضر ولكن من خلال نائب ينوب عنه¹. يقول دريدا: " إن فلسفتي استمدت وجودها من افكار هوسرل، هيدجر، وهيغل، وكان من بين الثلاثة هوسرل اكثرهم تاثير علي²، فتأثر دريدا بهوسرل يكمن في الاتجاه المناقض والمعاكس له خاصة ماتعلق الأمر بموضوع وبمسالة اللغة. فالموضوع المعرفي بينهما يبقي واحد حول اللغة وطبيعتها لكن التفاعل بينهما مختلف فالأول اعتمد في دراساته على اللغة من خلال منهجه التفكيكي لتقويض أسس الميتافيزيقا الغربية وتركيزه على الكتابة، أما الثاني اعتمد على المنهج الظواهري والتوجه إلى البناء اللغوي.

¹ - شايع الوقيان: دريدا قارئ هوسرل، مجلة الفكر الثقافية، الرياض، دع، 11-10-2011، ص 05

² - مروان علي حسين أمين: التفكيكية عند دريدا ، ص 459.



اللغة في
فلسفة جاك
دريدا

الفصل الثاني

الفصل الثاني: اللغة في فلسفة جاك دريدا

من أبرز سمات الفلسفة المعاصرة ابتعادها عن الأفكار والأنساق الفلسفية المغلقة فأرادت بذلك أن تبحث فيما هو عيني، ما هو ملموس دون الغوص في متهات ميتافيزيقية لا طائل منها فكان الاتجاه إلى الواقع غايتها وتحري الدقة والموضوعية شعارها، وما يهمننا من الفلسفة المعاصرة هو: توجهها نحو * اللغة بل أصبحت فلسفة لغوية بالأساس ولهذا كانت نشأة التفكيكية في الفترة التي كان فيها علم اللغة مسيطرا آنذاك وتوجهت الدراسات التفكيكية وانصبت اهتماماتها نحو اللغة، وتفكيك النماذج المعرفية لفهم المعاني والدلالات ، ولهذا احتل دريدا مكانة أساسية وجوهرية ضمن فلاسفة اللغة ومنه نطرح السؤال التالي:

فيما تكمن وتتجلى اللغة عند جاك دريدا؟ وأين تبرز علاقة اللغة بكل من الكتابة والأثر؟ وتطرقت في الفصل من خلال تقسيمه إلى مبحثين وعناصر: المبحث الأول: تجليات اللغة عند جاك دريدا وتضمن هذا المبحث ثلاثة عناصر وهي: أولا: التفكيك، ثانيا: الكتابة، ثالثا: الأثر، أما المبحث الثاني: تناولت فيه إستراتيجية التفكيك عند جاك دريدا.

*-اللغة: مجموع من الأصوات المفيدة، كما عرفها الجرجاني: "ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وتطلق أيضا على كل ما يجري على لسان كل قوم، لأن اللسان هو الآلة التي يتم بها النطق أو تطلق على الكلام المصطلح عليه، أو على معرفة أفراد الكلمة وأوضاعها (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص287).

المبحث الأول: تجليات اللغة عند جاك دريدا

أولاً: التفكيك

طرح الفيلسوف التفكيكي العديد من القضايا الفلسفية الرئيسية ولعل أبرزها وأهمها تجلت في مسألة " اللغة " وبالتالي فالمدخل الأساسي لفهم فلسفته هو مساءلة التفكيك واللغة إذ لا يمكن الفصل بينهما فالتفكيك لا يمكن فصله عن مفهومي النص والكتابة حيث القاعدة هي التفتح، والإقبال، والقراءة اليقظة من خلال تفكيك الكلمات والسياقات، والنظريات والرؤى، وبالتالي فالتفكيك يعد بمثابة فلسفة قائمة على القراءة النقدية للنصوص¹، وانصبت جل اهتماماته حول دراساته للنصوص الفلسفية وأثبت من خلال ذلك أن التراث الفلسفي الغربي ظل دائماً متشعباً بما سماه: "مركزية الكلمة أو ميتافيزيقا الحضور" ويبين أن نظريات الفلسفة وأطروحاتها المختلفة ما هي إلا صيغ من نظام واحد، فوضع جاك دريدا في تعامله مع النصوص الفلسفية وصفا نقدياً بالغ القوة للفكر الغربي فدريدا قارئ، ومفسر، ومفكك، غدت قراءاته العديد من نصوص الفلاسفة²، واستطاع من خلال هذا أن يتخلص من مجمل الأسئلة التي فتح صندوقها هو بذاته وخاصة ما تعلق الأمر بمسألة انتمائه الهوياتي المتأرجح بين: أرض اسمها الجزائر، ودولة اسمها فرنسا، وطائفة اسمها الطائفة اليهودية يعني بذلك أين يكمن الانتماء الهوياتي : هل للأرض؟ أم للدولة ؟ أم للديانة؟ لكنه توصل في الأخير بإعلانه أن الانتماء الحقيقي والأصيل يكون للغة التي نتحدث بها، والتي نبدع بها، ومن خلالها انطلق من مؤلفه: "أحادية الآخر اللغوية " بطرحه لسؤاله التالي: هل يمكن للغة أن تكون أساس الهوية؟³ وللإجابة عن

¹ - الزواوي بغوره، الفلسفة واللغة. نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، أكتوبر، 2005، ص 208.

² - محمد عصفور: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، عالم المعرفة، الكويت، 1416هـ - 1996، ص 208.

³ - جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي، ترجمة: عمر مهيبيل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2008م، ص 10.

السؤال الذي طرحه دريدا لا بد من القول: "بأن هذا الفيلسوف الدريدي عاش نوعا من الإتراب اللغوي من خلال مؤلفاته التي كتبها باللغة الفرنسية فتعتبر هذه الأخيرة لغة يتكلمها ويكتب بها إلا أنها لا تزال لغة غير لغته الأصلية.

وفي هذا الصدد نجده يقول: **' je n'ai qu'une langue, or ce n'est pas la mienne'**¹. أي اللغة التي يتحدث بها دريدا هي اللغة الفرنسية التي يكتب بها، ويتكلم بها ولهذا دفعته هذه اللغة الفرنسية للبحث عن هويته ومواطنته لأنها في الأخير لغة غير لغته الأم (الأصلية) فهو لم يتعلم لغته الأصلية لأنه لم يعيش وسط مجتمعه الأصلي الذي ينتمي إليه، بل عاش لغة اغتراب لغوي وتشعب بثقافة الآخر وهكذا عاش في وسط أحاديته اللغوية واعتبرها بيته يسكنها وتسكنه. وبما أن الأمر يتعلق بـ: اللغة الوحيدة التي يعرفها ويستطيع الحديث والكتابة بها ونظرا لنوع التكوين الذي تلقاه في المدرسة ونظرا أيضا كأستاذ وكاتب، وفيلسوف فرنسي يخضع للغة الأحادية لهذا كان شعوره الذي لا يفارقه وهو أن لغته تبقى لغة الاستعمار والمستعمر الفرنسي²، لغة الآخر، وأن تحليل معنى " التفكيك " يبين مدى المعاناة الكبرى التي عاناها هذا الفيلسوف في التفكير باللغة فهذه الأخيرة مثلت له تجربة أولية وأصلية وغوص " دريدا " في اللغة هو التعمق في "العلامة اللغوية" وإن كانت دراسة العلامة التي يمثلها الجدل الدائري بين النص والقارئ هو منهج التفكيك. وبالتالي فإن تحليل اللغة أو العلاقة بين طرفي العلامة هو أداة ذلك المنهج³. فتطبيق المنهج التفكيكي على النص هو بمثابة نشاطا يبقى مرتبطا بقوة النصوص واستجوابها ولا يمكن أن يوجد مستقلا كنظام مفاهيم فاعلة قائمة بذاته⁴، وتكمن مهمة الناقد التفكيكي في استخدامه للغة أن يفككها باستمرار ليفضحها

¹ - عبد الوهاب شعلان: ألبير ميمي وحدود تفكيك الميثولوجيا البيضاء، مجلة رؤى الفكرية، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق اهراس-الجزائر، العدد الأول، فيفري 2015، ص 58.

² - الزواوي بغوره: الفلسفة واللغة، ص 207.

³ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 345.

⁴ - فريدة غيوة: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، ص 201.

ويكشف عن زيفها والحديث عن وحدة النص والقول: " بأن النص يفكك ذاته، يرجع بالدرجة الأولى إلى: مفهوم اللغة عند التفكيكين فغيبية التناسق والتناقضات جميعها من خصائص اللغة الأدبية التي يجب أن ينسبها الناقد التفكيكي بل الكاتب ابتداءً. وهذا هو المقصود بالمقولة التي تتردد كثيرا: " بأن النص يفكك نفسه بنفسه"¹. يعني أن النص كبنية منسجمة الوحدات والدلالات يعمل من خلالها الناقد التفكيكي على فك وتجزئة تلك الوحدات والدلالات إلى عناصر جزئية حتى نصل إلى اللغة الأولى، لغة الإنشاء الأول والتسمية الأولى للأشياء. فالتفكيكية كممارسة نقدية أدبية تفكك النص لتكشف أن ما يبدو عملا متناسقا وبلا تناقضات، هو بناء من الإستراتيجيات والمناورات البلاغية ففضح ذلك البناء بنسف الافتراض بوجود معنى متماسك. فما تتميز به لغة دريدا من ثراء معجمي وفرادة في الأسلوب فهو يعي جيدا كلماته وينتقيها، كما كان واعيا تماما أن الكلمة المقولة والمكتوبة أنها كثيفة الدلالة وفي هذا السياق يتعين على الفيلسوف أن يكون واعيا بهذه الكثافة، وأن لا يكتفي بظاهر الكلمات حتى لا تتشابه عليه المعاني وعلى هذا النحو تبدو فلسفة "دريدا" في التفكيك مقترنة اقترانا يعسر فكه " بفلسفة اللغة" لأنها لا تستطيع أن تتأمل الظواهر ولا تصوغ تأملاتها الفلسفية في صيغ مقررة ومقررة، وإنما تفعل ذلك من خلال اللغة وتطور أفكارها باللغة أيضا²، ونجد الكلمة عند دريدا بأنها تتمتع بخاصيتين بوطيقتين هما: أولا: الثراء المعجمي، ثانيا: التفرد الأسلوبي مما يعني ذلك أن هذا الفيلسوف كان يعي كلماته ويختارها، وينظمها نظما خاصا به غير منساق وراء الكتابة التقريرية الآلية المعهودة في كتابة العلوم الإنسانية على وجه العموم بما فيها الفلسفة فهذا التعقب الواعي للكلمة المواتية وهذا الغرام المرهف للغة لدقائقها المفصص لصرفها وأصواتها اللالعب بشتى إمكاناتها والطامح لإبداعها إبداعا مضيفا فبلا شك نجد مسار أسلوبي مخالف للمسار الفلسفي التقليدي، وهذا ما تتجلى في بعض

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 346.

² - مجموعة باحثين: الفلسفة الفرنسية المعاصرة، ص 306.

عناوين كتبه مثل: (LA CARTE POSTALE) البطاقة البريدية، (MARGES) هوامش وغيرها، إذ نستطيع أن نصنع قصيدة بعناوين كتبه وحدها. وعلى هذا الأساس تعد التفكيكية الحلقة الأكثر تأثيرا وبروزا في القرن العشرين من خلال ما قام به دريدا بمنهجه التفكيكي على ترجمة بعض النصوص الأدبية وأيضا الفلسفية حول ما يتعلق الأمر بطبيعة اللغة والمعنى¹، كما تشكل التفكيكية منظومة نقدية تقنية جديدة للترجمة الفورية المتعددة النصوص عن طريق بيان مواطن الهشاشة والضعف والخلل في بنية النص وتحليلها على أنها تمثل حقلًا دلاليًا تتصارع فيه المعاني الاختلافية، أيضا اللعب بنظام النص وذلك عن طريق متابعة إشارات تناقضاته باعتبار أن كل نص حسب المعتقد التفكيكي يتسم باحتوائه على ثنائيات متعارضة وتكون "الدلالة" متفاوتة بين الطرفين طرف ذو دلالة إيجابية وطرف آخر ذو دلالة سلبية²، ولهذا ترمى العملية التفكيكية عند دريدا إلى كشف التناقض المبدئي بين مسلمات التراث الغربي المسكوت عنه وهو الأمر الذي ينطبق على أي تراث، وبين الواقع الفعلي للممارسات الخطابية في شتى مجالات المعرفة وعلى هذا النحو يبرز لنا دريدا التناقض الغريب بصدد "العلامة اللغوية" إذ حسب رأي هذا الفيلسوف لا وجود لأسبقية في اللغة للمعنى أو الفكرة على العلامة، ولا للصوت الحي على مادية الكتابة، إذ ليس هناك إلا علاقات تمايز واختلاف داخل اللغة³. وهذا ما دفعه إلى الاهتمام بالنصوص الفلسفية، والسياسية، والتحليل نفسية يهدف فضح عن أهمية كل من هذه النصوص واللعب على ثنائيات المعنى أو النبش في أصل الكلمة مما يبوح بتداخل الاختلافات لهذا المعنى فيها. وفي هذا الإطار يعتبر جاك دريدا التفكيك في قوله: "التفكيكية بطبيعة الحال تنشغل بما نسميه تقريبا بصورة شرعية بالـ:

¹ - جاك دريدا: في علم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث- منى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط2، 2008، ص 21.

² - محمد سالم سعد الله: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، د ب، ط1، 2007، ص 195.

³ - الهيئة العلمية: أوراق فلسفية، ص 25.

(نصوص الكبرى) ليس فقط الأعمال الشرعية من أفلاطون إلى جويس، إنما أيضا المدونات التي هي ليست نصوصا أدبية أو فلسفية أو دينية فقط إنما كتابات قضائية أو مؤسسات أو برامج الكتابة التي تخص التفكير¹، أي التفكير هنا بمثابة خلخلة وزعزعة النصوص بهدف الكشف عن معانيها وفهمها جيدا كي تتجلى أكثر وضوحا والكشف عن زيفها وبيان المسكوت عنه ونظرا لإطلاعه على نصوص غيره وقراءاته المتنوعة لها فإنه يصل إلى نتيجة مؤداها أن اللغة الفلسفية تموج بلحظات التناقض الذاتي ومناطق العمى حينما يفضح النص لا إراديا التوتر بين بلاغته ومنطقه أي بين ما يقصد قوله ظاهريا وما يكره على أن يعنيه، فالكاتب لنص ما في نظره ليس هو السيد المطلق مهما كان نوع الخطاب باعتبار أن الخطاب تعتمله آثار قوى، ورغبات، ومفاهيم متعارضة وآثار كل الشحنات الدلالية والتراتبية للكلمات في اللغة، فكل نص فلسفي هو نص مزدوج². أي يحتوي على الظاهر والباطن ويكمن هذا الأخير في زوايا النص أي "الهوامش والعلامات"، الترقيم، الأمثلة، المجازات وغيرها، فدريدا لا يلعب فقط على الكلمات بل يمكن اعتباره أنه يطارد كل مفردة ويترصدها إمكاناتها المختلفة وأدائها العديدة بهدف استخراج واستنفاد مخزونها الدلالي، وإعطاء أفضل ما تقدر عليه في سياق معين. فمثلا: مصطلح الفارماكون هذه واحدة من المفردات الدريدية التي تتضمن عمليين أو (مفعولين) اثنين بهما تخرج هذه المفردات من ثنائية المقابلات أو الأزواج المعروفة في الميتافيزيقا. (خير/ شر)، (حضور/ غياب)، (كتابة/ كلام)، تارة تضطلع المفردة من هذا النوع بمعنى أو مفعول وطورا بآخر كما يحدث لها غالبا أن تدفع بالاثنين إلى العمل بما يتعذر على الحسم أو المفاضلة بينهما³، فحاول دريدا أن يفضح

¹ - جاك دريدا: انفعالات، ترجمة، عزيز توما، تقديم: إبراهيم محمود، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ط1، 2005، ص 158.

² - لقاء الرباط مع جاك دريدا: لغات وتفكيكات في الثقافة العربية، ترجمة: عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1998، ص 189.

³ - جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ترجمة: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 1988، ص 09.

الخواص المجازية للخطاب الفلسفي والتي تتمثل فيما يستخدمه بالضرورة من استعارات وفيما يخضع له من ضرورات الكتابة ذاتها بوصفها أثرا فهذا المصطلح الذي نحن بصدده استخدمه أفلاطون صفة للكتابة بوصفها مرتبة أدنى من الكلام الحي أو بوصفها تعبيراً عن العالم الشبحي المحسوس الذي لا يكشف الحقيقة مقابل العالم العلوي الذي يعبر عن الكلمة المنطوقة فهذا المصطلح يفككه دريدا ليكشف عن الكلمة بأنها تحتوي على معنيين في نفس الوقت متناقضين هما: "السم والدواء"، مما يطيح بهذا التمييز الأفلاطوني الذي يثبت الحقيقة في طرف دون الآخر¹. وهكذا يفكك دريدا اللغة ذاتها ويحاول إعادة الاعتبار للمكتوب من خلال إخضاعه للتفكيك وحاول تخلص اللغة من الميتافيزيقا المنغرس في طبيعتها، وهذا ما يراه الفيلسوف التواصلية *يورغن هابرماس أن دريدا قام بخطوتين مهمتين هما: تطويع اللسانيات الحديثة وجعلها أداة لنقد الميتافيزيقا، والانتقال من فلسفة الوعي إلى فلسفة اللغة وذلك بفضل الغراماتولوجيا². ، فعمل في دراساته على تسليط الضوء على أسس علم الكتابة وإنكبت جميع جهوده على تحقيق مهمته المتمثلة في تجاوز الميتافيزيقا ومنها فهمة مؤلفه هذا تكمن في فهم ماهية اللغة وفق نموذج الكتابة.

¹ - جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 23.

* يورغن هابرماس J- HABERMAS (18 فيفري 1929)، فيلسوف الماني معاصر وواحد من أهم المنظرين الاجتماعيين ووسعهم انتشارا في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكتابات النظرية مؤثرة في مناح عدة من: الانسانيات والعلوم الاجتماعية، فيعد منظرا متعدد التخصصات في جميع المجالات ، وله إنتاج فكري ضخم، واطافة الى شهرته كمنظر اجتماعي وسياسي، فهو واحد من ابرز المفكرين في الشأن العام في أوربا حاليا.(جيمس جوردين فينيلسون: يورجن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: أحمد محمد الروبي، مراجعة: ضياء ورّاد، مؤسسة هنداوي، د ب، ط1، 2015، ص09.

² - جميلة حنفي: يورغن هابرماس: من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، أطروحة لنيل دكتوراه في الفلسفة، جامعة الجزائر 02، 2011-2012، ص 71.

ثانيا: الكتابة والقراءة

إن الكتابة على اختلافها وتباين تقنياتها ومستوياتها تجسد طموح الكائن الإنساني إلى تأسيس منظومة رمزية مستقلة عنه لكن لا تفهم بدونها وتدفع إلى التحقيق همًا أبديا لازمه في دروب كينونته الأولى وهو **هم الكتابة** أو تدوين المقولات اللفظية والتصورات الذهنية¹، ولهذا تعد الكتابة بالنسبة لجاك دريدا. المصدر الوحيد والفوري لجميع الفعاليات الثقافية ولنظمها، وللكتابة ميزة خاصة لها أي تكشف عن احتوائها على أفكار مغشوشة وهامشية²، ولهذا اعتبرها الفيلسوف التفكيكي بمثابة واسطة لتمثيل المعاني في الأصوات، فالمتكلم والمستمع حاضران كل منهما للآخر وتتطلق الكلمات من المتكلم باعتبارها رموز وتكون الكتابة مركبة من علامات فيزيائية تدخلنا مباشرة إلى فكر الكاتب، ولهذا لعب كتاب الفيلسوف الفرنسي دريدا "علم الكتابة" . دورا بارزا بإعطاء أولوية الكتابة على الكلام. يقول دريدا: " ان الفيلسوف يكتب ضد الكتابة، يكتب لكي يفوض النقص الذي تسببه الكتابة. الفيلسوف يكتب لكي لا يحيد عن دائرة الميتافيزيقا التي تتمركز حول اللوغوس"³، فكان التصور الميتافيزيقي للكتابة تصورا هامشيا يمكن تجاؤها، واحتقارها وهذا ما يتجلى لدى العديد من الفلاسفة. فنظرة *الميتافيزيقا إلى الكتابة كوسيلة فقط للتعبير فهي بمثابة الجسر الذي يسمح بعبور المعاني، والمجاز الذي يقوم بنقلها وأداة لتبليغ المعاني وتمثيلها فتتفي الميتافيزيقا مادية الدليل **SIGNE** وكثافته

¹ - عمر مهيبيل: من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م، ص 15.

² - فريدة غيو، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، ص 200.

³ - عبد السلام بنعبد العالي: هايدغر ضد هيجل (التراث والاختلاف)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 2006، ص21.

* الميتافيزيقا ، ميتافيزيا (ميتافيزيقا): معنى قديم للاسم المعطى لكتاب أرسطو الذي ندعوه اليوم ميتافيزيقا لأنه كان ثمة مجموعة أعمال أرسطو التي جمعها أندرونيقوس الرودسي القرن الأول. ق.م)، كتاب الطبيعة بهذه الصورة يعود التعبير إلى وقت لاحق من القرن الأول للتقويم المسيحي بكلمة واحدة ميتافيزيقا، وفي العصر الوسيط أطلق هذا المصطلح عند أرسطو ويشتمل على معرفة الأمور الإلهية وكذلك معرفة مبادئ العلوم والعمل، أما في الاستعمال الحديث تباين معنى كلمة ميتافيزيقا بحسب التشديد فيها إما على فكرة بعض الكائنات أو على نظام ما للواقع كموضوع خاص للميتافيزيقا، وإما على فكرة نمط خاص للمعرفة. (أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفة، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، المجلد 1، ط2، 2001، ص 790)

وتعتبر الدال مجرد مظهر للمدلول فتعطي أسبقية زمانية منطقية بل وشرفية للمعنى على الدليل، للمدلول على الدال، للفكر على المادة، للنفس على الجسد، فالكتابة مجرد قنطرة وتعبير¹، وهذه الأفكار تجلت لدى العديد من الفلاسفة وترسخت في عقولهم واعتبروا الكتابة لا قيمة لها يمكن تجاوزها عبر التاريخ ومن بين هؤلاء نجد على سبيل المثال: سقراط يذم الكتابة باعتبارها تغييب للإنسان عن ذاتيته ووضع الحواجز بينه وبين المتلقي وهذا ما نلمسه في قوله التالي: " فخصوصية الكتابة إنما تعود إلى غياب الأب. يمكن أن ينصاغ هذا الغياب للأب بطرق عديدة كم يؤكد سقراط على البؤس، النفاق أو الباعث على الشفقة بؤس اللوغوس المسلم إلى الكتابة. هو بحاجة دائمة إلى عون أبيه لوحدته، ليس بالفعل القادر لا على حماية نفسه ولا على إعانتها"². فنظرة سقراط للكتابة لا تعني لنا شيئاً لا فائدة منها، مجرد تكرار، وبالتالي لا تقدم لنا جديد. وإلى جانب سقراط وموقفه من الكتابة نجد أيضاً تلميذه أفلاطون الذي اعتبر هو الآخر أن الكتابة مجرد ذاكرة خارجية ميتة تشبه الفارماكون ولهذا يتعين الحذر من الدواء، كما أن الكتابة تمارس خطراً على الذاكرة وهذا ما يراه في محاورته " فيديروس" واعتبر الكلام وحده القادر على تداول الحقيقة والتفاعل والكتابة تنتج سوء الفهم وسوء التفسير³، ولهذا يعتبر الكتابة تمثيلاً طفيلياً ناقصاً له لأنها تطمس بعض معالم اللغة أو بعض مناحي وظيفتها أو إطراحها جانباً. أما موقف * فردنان دي سوسور من الكتابة فإنه يتكلم عن "مخاطر" الكتابة وأن الكتابة تخفي اللغة بل تغتصب أحياناً دور الكلام، وطغيان الكتابة قوي مدمر يؤدي مثلاً: إلى أخطاء في التلفظ يمكن وصفها بالمرضية

¹ - عبد السلام بعنيد العالي: هايدغر ضد هيجل، ص 22.

² - جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ص 29.

³ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 222.

* فردنان دي سوسور: (1857-1913) أشهر لغوي في العصر الحديث ولد في جنيف من أسرة مشهورة بالعلم والأدب، درس في جامعات جنيف، ولا يبرك، وبرلين، حصل على درجة الدكتوراه من لايبريك عام 1880، عمل مدرساً في مدرسة الدراسات العليا في باريس من (1881-1891) ثم أستاذ اللغات الهندية الأوروبية والسنسكريتية من (1913-1909) وأصبح أستاذاً لعلم اللغة العام في 1907 في جامعة جنيف، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام 1913، ومن أشهر وأهم كتاب يعمل اسمه هو: علم اللغة العام نشر في باريس 1878، وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات (فردنان دي سوسور: علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، الأعظمية- بغداد، دط، 1985، ص3)

وإفساد للأشكال المحكية الطبيعية أو مرض يصيبها. وعلماء اللغة الذين يعنون بالأشكال المكتوبة يقعون في المصيدة، والكتابة التي يفترض أن تكون وسيلة لخدمة الكلام تهدد بتلويث صفاء النظام الذي تخدمه¹، بقول سوسور: " تحجب الكتابة رؤية اللسان، إنها ليست لباساً له، وإنما لباس تنكر. ينبغي على اللسانيات وضعها في مقصورة خاصة². " فالكتابة عند سوسور تحتوي على نظامين فقط هما: النظام الصوري: وفيه يعبر عن كل كلمة بإشارة واحدة لا علاقة لها بالأصوات التي تتألف منها الكلمة نفسها فالإشارة المكتوبة الواحدة تمثل كلمة بأكملها وتمثل من ثم الفكرة التي تعبر عنها الكلمة، وأشهر مثال " للنظام الصوري" في الكتابة الصينية" ، أما النظام الثاني الذي يعرف عادة بالنظام الصوتي يحاول أن يعبر عن الأصوات المتعاقبة التي تتألف منها الكلمة³ ، و " النظام الصوتي" هذا قد يعتمد على المقطع، أو على حرف، أي: على العناصر الصغرى المستخدمة في الكلام. كما نجد أن النص السويسري يركز على ثلاثة مصطلحات أساسية وجوهرية وهي: الكلام، الخطاب، ملكة اللسان، وإذا تعمقنا في مسألة الخطاب السويسري نلاحظ المكانة الهامة التي يعطيها للكلام في مشروعه، وخاصة تركيزه على موضوع "اللغة" إذ يعرفها عند بيرغرنيو: " إن اللغة إذا عرفت دون الإحالة إلى الأشخاص أو التحققات الملموسة. [...] . مكونة بوصفها منتج تحليل قائم بتمامه على اتحاد الدال والمدلول اللذين لا يفترضان أي شيء من جهة التفكير (المدلول ليس المفهوم) أو من جهة التلفظ العضوي (الدال هو نفسي). " ⁴ ، أي اللغة عند سوسور نظام مكونة من رموز SIGNS فالأصوات لا تعد لغة إلا إذا نقلت الأفكار أو عبرت عنها ولذا نجد أن المسألة الجوهرية عنده هي طبيعة الرمز اللغوي ولهذا يرى أن الرمز الممثل للكتابة له علاقة وطيدة بالدال الذي يعتبر هذا الأخير المصدر الوحيد له والرمز وحدة علائقية خالصة وأن اللغة ليس فيها صفات قائمة بذاتها بل اختلافات فقط، وهذا المبدأ يختلف تمام الاختلاف عن مركزية الكلمة وميتافيزيقا

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 222.

² - حبيبة دباش: فلسفة الحضور والغياب ، ص 87.

³ - - فرديناندي سوسور: علم اللغة العام، ص 44.

⁴ - ميشال أزييه: البحث عن فردينان دوسوسير، ترجمة وتقديم وتعليق، محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب

الجديد المتحدة، باريس- فرنسا، ط1، 2007، ص 154.

"الحضور" فيؤكد سوسور من ناحيتين: ناحية الأولى أنه ليس ثمة من كلمات في النظام لها حضور بسيط مكتمل لأن الاختلافات لا يمكن أن تكون حاضرة وهو يحدد الهوية، أما من الناحية الثانية "الغياب" المعتاد وليس من خلال الحضور فالهوية حجر الزاوية في أي ميتافيزيقا علائقية ومن خلالها نلاحظ مدى تأكيده القوي وتركيزه على ما يسمى "لمركزية الكلمة". فتفكير دريدا في الكتابة هو بمثابة تحرير علم الكتابة من الأفكار الميتافيزيقية فإذا به يثير ثورة ضد التقليد الفلسفي الغربي باعتبار أن التصور الميتافيزيقي يحتقر الكتابة، ولهذا سعى فيلسوف التفكيك إلى مسائلته وتفكيكه حيث لامس كيفية انتظام فعل الكتابة في حقل العلوم وتبين له أن ثمة تقليدا غريبا حول الكتابة وتخوف منها لأنها تنتشر الوعي ولهذا دفع دريدا نفسه للاهتمام بها والكتابة بالمعنى الشامل هي الكلمة التي يستخدمها دريدا ليعلم بها حركة التوسط التي تسمح بافتراض مباشرة أصلية في الكلام والحضور، لهذا يفضل الكتابة بالمعنى الشامل باعتبار أن الكتابة بالمعنى الضيق ليس لها أي ارتباط طبيعي بالحضور الحي باعتبارها دنيوية، وتاريخية، وخطية وتعتبر هذه الخصائص مناهضة لعملية إضفاء أي طابع مثالي روحاني عليها فذلك الطابع الذي صار بمقتضاه الكلام في الميتافيزيقا¹، يقول دريدا: "على الرغم من أن النص الميتافيزيقي هو دوما نص مكتوب، إلا أنه ينطوي على الرغبة في أن يمنح ليدع المجال للمحتوى الذي ينقله ويسعى في الأغلب الأعم إلى تعليمه، وهذا بالضبط هو ما يجعل منه نصا ميتافيزيقيا"². فالنص الميتافيزيقي نص منغلق رغم أنه نص مكتوب إلا أنه يبقى ينظر للكتابة مجرد عملية حصر وتسلط وتتنظر الميتافيزيقا للمعاني بأنها ذات أحادية أي لا ترى النص كفيض من المعاني والدلالات. فالكتابة علامة مكتوبة يمكن أن تتكرر رغم غياب سياقها بالإضافة إلى ذلك أنها قادرة على تحطيم سياقها الحقيقي وتقرأ ضمن أنظمة سياقات جديدة بوصفها علامة في خطابات أخرى كما أنها تكون فضاء للمعنى بوجهين: الأول - قابليتها الانتقال من سلسلة جديدة من العلامات، ثانيا - قدرتها على الانتقال من مرجع حاضر إلى آخر

¹ - ميشيل رايمان وآخرون: مدخل إلى التفكيك، تحرير وترجمة: حسام نايل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة آفاق عالمية، القاهرة، ط1، 2008م، ص 64.

² - عبد السلام بنعبد العالي: هايدغر ضد هيجل، ص 21

وهذه سمات خاصة بالكتابة لا يمكن للكلام أن يمتلكها وهذا سبب تمسك دريدا بالكتابة¹. فبحث هذا الفيلسوف عن ماهية الكتابة وطبق المنهج التفكيكي على النصوص باعتبارها بمثابة نشاطا يبقى مرتبطا بقوة النصوص واستجوابها ولا يمكن أن يوجد مستقلا كنظام مفاهيم فاعلة قائما بذاته، فقيام الكتابة هو قيام اللعب وهنا أن اللعب يعود إلى نفسه ماحيا الحد الذي كان يعتقد بإمكان تنظيم حركة العلامات انطلاقا منه وجارا معه جميع المدلولات المطمّنة مطوحا بجميع الأماكن الحصينة جميع ملاجئ خارج اللعب التي كانت تشرف على حقل اللغة أو تحرسه وهذا مما يعني بكامل الدقة تدمير مفهوم " العلامة " ومنطقها كله يقول دريدا : " حدوث الكتابة هو حدوث اللعب"² ، يفهم من خلال هذا أن دريدا يحاول الكشف عن ما هو ضمني من خلال فعل الكتابة بتعرية والكشف عن الهوامش والعلامات، والرموز. فالكتابة التي يريدّها دريدا لا بد من أن تلعب لعبتين معا وهذا يعني أن نتكلم عدة لغات، وأن ننتج نصوص متعددة في الوقت ذاته ويعبر كريستوفر جونسون عن كتابة دريدا بقوله التالي: " من الشائع أن كتابة دريدا صعبة وذلك لعدة أسباب: أولها صعوبة المفاهيم والحجج ذاتها وهي صعوبة تتعلق بوضع دريدا ضمن تراث فلسفي متواصل لا يلم القارئ غير الفرنسي به ودائما. ، ثانيها أن فلسفة دريدا ليست فلسفة نسقية بمعنى أنه لا يقدم للقارئ نسقا فلسفيا منتهيا ، فكل مصطلح فيه محدد ومعين، منذ بادئه الأولى وحتى النظرية النهائية " ³. فالأسلوب الذي كان يكتب به دريدا كان يزيد حضورا من خلال تفكيكه للكلمات واللعب بها فكان يبوح الداخل بخارجه رغم أنه يظهر داخلا بقدر ما يشير الخارج إلى الداخل وذلك من خلال علاقته بطبيعة اللغة، فلم يتقيد دريدا في كتاباته ومقالاته بميدان واحد وإنما تنتقل بين مختلف الميادين المعرفية مع توجيه اهتمام خاص إلى " النص الأدبي " و " النص الفلسفي " ومدى إتساع أفقه فهو ينتقل من أفلاطون روسو ، سوسور وفي هذا كله يدرس النسق الفكري الذي يكمن وراء النص عن طريق تحليل النص ذاته أو تفكيكه وعلى العموم فإن العنصر الأساسي وراء دراساته لهؤلاء هو نظرية "العلامات"

¹ - مروان علي حسين أمين: التفكيكية عند جاك دريدا، ص 467.

² - جاك دريدا: الصوت والظاهرة ، ص 12.

³ - جاك دريدا: في عالم الكتابة، ص 15.

أو " الرموز اللغوية كما يركز دريدا في الكتابة على فعل 'الممارسة' من خلال قوله: " لننطلق مثلا من مفهوم الممارسة فلكي أحدد الكتابة والحرف، والاختلاف، والنص وغيرها، ألححت دائما على قيمة الممارسة prascis هذه وفي حقل تفكيك المتعارضات الفلسفية، أن نبدأ بتحليل المتعارضة ممارسة/ نظرية وأن نتخلص نهائيا من تحكمها في تصورنا للممارسة. " ¹ ويعد دريدا من أبرز وأهم الفلاسفة الذي تجاوز التفسيرات الميتافيزيقية السابقة للكتابة واعتبر مهمة الكتابة من خلال قوله المتجسد فيما يلي: " إن مهمة علم الكتابة هي خلخلة كل ما يلحق مفهوم وقواعد العلمية باللاهوت الأونطولوجي وبالمركزية العقلية والصوتية، إنه عمل هائل ولا نهائي. وهو باعتباره خرقا للمشروع الكلاسيكي مطالب على الدوام بتفادي السقوط مرة أخرى في التجريبية القبل علمية. " ² فتعمل الكتابة على زعزعة وخلخلة المفاهيم وتفكيكها ولهذا حاول دريدا أن يعود إلى علم الكتابة لتأكيد على التناقض والضعف والمغالطات الميتافيزيقية و يعيب في دراساته وقراءاته للفلاسفة الذين همشوا الكتابة وبقوا منحصرين في دائرة التقليد اللوغوسي الغربي ومن بينهم نجد سوسور فكانت قراءته ودراساته وإطلاعه على الفكر الغربي وتشبعه بمركزية اللوغوس جعلته يطرد الكتابة من *اللسانيات لتحل محلها الكلام والصوت يقول عنه دريدا: " لقد سار اختزال الكتابة، ومعه إختزال برّانية الدال جنبا إلى جنب مع مركزية الصوت واللوجوس، ونحن على علم كيف قام " سوسور " من خلال عملية تقليدية اتبع فيها: أفلاطون وأرسطو، وروسو، وهيجل وهوسرل، بطرد الكتابة من

¹ - جاك دريدا: مواقع حوارات، ترجمة وتقديم: فريد الزاهي، دار توفال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 87.

² - المصدر نفسه ، ص 36.

* اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات فهي ترى في التجليات التي هي اللغات ظاهرة متعددة الجوانب، اللسان، وتبدو اللغة من الناحية الخارجية كأداة تواصل بين الناس فهي توجد حينما كان هنالك أناس يعيشون في مجتمع ولا وجود للغة مستعملة دون أن تكون وسيلة تواصل، جون بيرو: اللسانيات، ترجمة: الحواس مسغودي: "مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، ط5، 2001، ص 01.

حقل اللسانيات ومن ثم من حقل اللسان والكلام باعتبارها ظاهرة تمثيل خارجية.¹ فاعتبر دريدا أن سوسور بقي مقيد ومنحصر في دائرة المركزية الغربية وبها همش الكتابة وجعلها درجة ثانوية بالنسبة للكلام. وانطلاقاً من هذا الأساس يعتبر دريدا الكتابة في قوله: "موجودة قبل الكلام وداخل الكلام."² الكتابة موجودة ضمناً في الكلام أي تقطن الكتابة في أصل الكلام، أي يفهم من هذا أن الكتابة والكلام ليس منفصلين بل يعتبر الكلام في حد ذاته كتابة ولهذا نجد هذا الفيلسوف يلاحق الفلاسفة والمفكرين الفاعلين في تاريخ الفكر الغربي من خلال إعلانهم بإعلاء الكلام والصوت على حساب الكتابة وهذا ما دفع به إلى مساءلته لاحتقار وازدراء الكتابة وتفكيك ميتافيزيقا الحضور من خلال تفكيك هذا التمرکز حول "الصوت" الذي يهمل "الكتابة" ويعلي من شأن الكلام، وكان أثر دريدا وغرضه لم يكن قلب المعادلة وإعطاء الأفضلية للكتابة على حساب الكلام والصوت وإنما كان غرضه الأساسي تفكيك الميتافيزيقا وقلب تراتبها، فلا نعود ننظر إلى الكتابة كملحق من ملاحق الكلام أو كهامش للمركز بل ننظر إليها كهامش يتخلل عنده المركز، وكأصل للكلام وبذلك ننأى عن ثنائية: كتابة/كلام، هامش/مركز، ..المؤسسة للميتافيزيقا ونقترب من الكتابة كأصل للكلام، أي نقترب منها كاختلاف يقطن الهوية.

¹ - جاك دريدا: مواقع حوارات، ص 28.

² - عمر التاور: إستراتيجية التفكيك عند جاك دريدا الهدم والبناء، تبیین، tabyun، د ب ،العدد/9،2014، ص

القراءة: كما تبحث القراءة التفكيكية عن اللبنة القلقة غير المستقرة داخل النصوص وتحركها حتى ينهار البنيان من أساسه ويعاد تركيبه من جديد، وفي كل عملية هدم وإعادة بناء يتغير مركز النص وتتسبب العناصر المقهورة أهمية جديدة يحددها بالطبع أفق القارئ الجديد وهكذا يصبح ما هو هامشي مركزيا وما هو غير جوهري جوهريا¹، وبها غدت قراءات دريدا وإطلاعه للعديد من النصوص الفلاسفة بدءا من: أفلاطون ، روسو ، سوسو. ومن خلال إطلاعه لهذه النصوص نجده أنه مارس نوعا مزدوجا من القراءة بحيث أظهر أن هذه النصوص قد نسجت من خيوط مختلفة، لا يمكنها أن تؤدي إلى نسيج متكامل بل يزيح الواحد منها الآخر وهذا النمط من القراءة والكتابة يفرض نفسه في مجال النقد الأدبي على نحو خاص²، وقراءات دريدا في الواقع ليست قراءات مباشرة للنصوص ولا تطمح في احترام خصوصيتها، بل على العكس إنها تحاول فض بكارتها وإنطاقها بما تخفيه بين ثناياها الظاهرة والباطنة وهي لذلك تقع على تخوم عالم من الكتابة تحاول طيه وتتزامن مع عالم آخر من الكتابة تحاول شق طريقها عبره وتحديد مجال عملها وممارستها من خلاله، وبها تتجاوز الكتابة كل ضروب الكتابات الميتافيزيقية والأنطولوجية المحايثة لخطاب العقلانية الغربية و أدت القراءة التفكيكية التي مارسها " دريدا" منذ بدء حياته الفكرية والعلمية على تركيزه على أهم المحاور الرئيسية في كتاباته ومن بين هذه المحاور نجد المفاهيم التالية: العلامة، الكتابة، الترجمة، الصوت، الأثر، السياق الهامش ، قراءات دريدا للنصوص المختلفة ونصوصه التي وضعها هو تشكل كلها استكشافات لمركزية الكلمة الغربية يقول دريدا: " تحديد الوجود بوصفه حضورا بكل معاني هذه الكلمة، ومن الممكن أن نبين أن كل الكلمات المتصلة بالأساسيات والمبادئ أو بالمركز، قد ظلت تسمى باستمرار ثابت للحضور سواء كان إسمه: الجوهري، الوجود، المادة، الذات، أو كان التعالي أو الوعي

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 319.

² - محمد عصفور: البنيوية وما بعدها ، ص 201.

أو الضمير أو الله " ¹. فكان هدف دريدا تقويض هذه الأساسيات و كان مشروعه يتمثل حول قراءاته للنصوص المختلفة التي تشكل كلها استكشافات لمركزية الكلمة وميتافيزيقا الحضور. كما يضيف أيضا قائلاً: " إن مجيء اللغة هو مجيء اللعبة، وترتد اللعبة اليوم على ذاتها، فتمحو الحد الذي تصورنا أن بمقدورنا تنظيم حركة مرور العلامات انطلاقاً منه وتأخذ في غمارها كل المدلولات الباعثة على الاطمئنان وتقلص كل الأماكن الحصينة وجميع المناطق التي كانت تحرس حقل اللغة خارج اللعب وهذا يعني بكل صراحة تدمير مفهوم العلامة وكل المنطق المرتبط به" ². فالكتابة تحتوي اللغة بكل معاني الكلمة فليس هناك مدلول إلا ليقع من جديد في لعبة الإحالات الدالة التي تشكل اللغة، فالكتابة تكنيكية في خدمة اللغة كما يعتبر النص بمثابة نسيج من العلامات اللغوية: (دال، مدلول) ولذا يسعى فيلسوف التفكيك إلى تفكيك وخلخلة وزحزحة هذه العلامات التي كرستها الميتافيزيقا الغربية فلا بدّ من القضاء على الرابطة المطلقة بين الدال والمدلول" بواسطة لعب متكرر ومتواصل على النصوص، فتفكيكية دريدا هدفها الابتعاد عن الأنساق التي تخلصنا من الميتافيزيقا يقول: " إن الغاية الصريحة [من علم اللغة] تؤكد تبعية علم أنساق الكتابة له [تؤكد] اختزال الكتابة إلى مستوى الأداة. غير أن إيماءة أخرى تحرّر مستقبل علم أنساق الكتابة الشامل. " ³. فالانفتاح الذي يبيده القارئ التفكيكي نحو النص باعتبار أن النص فيض من المدلولات والمعاني، فعلى القارئ التفكيكي قراءة النص وهزّ اللبنة القلقة فيه ليتبعثر أو يفيض النص ما فيه من مدلولات وبها يتحول النص وفق القراءة التفكيكية إلى ماكنة معنى تنتج معاني جديدة.

¹ - مروان علي حسين أمين: التفكيكية عند جاك دريدا، ص 466.

² - جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 66.

³ - آيان ألموند: التصوف والتفكيك، درس مقارن بين ابن عربي ودريدا، ترجمة وتقديم: حسام نايل، مراجعة: محمد

بريري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص 64

ثالثا: الأثر

يشكل *الأثر من منطلق الأهمية التي يشغلها في تفسير اللغة الفعل التفكيكي الثاني الذي يعقب حركية الاختلاف والإرجاء، إذ لا شك أن النص هو نسيج من الآثار التي تشير بصورة لا نهائية إلى أشياء غير نفسها إلى آثار اختلافات أخرى، وهذا ما تؤكد عليه الطبيعة الاختلافية للغة كما تصورهما دريدا وتظهر هذه الاختلافات بين العناصر أو بالأحرى تنتجها أو تجعلها تنبثق بوصفها كذلك، فتشكل نصوصا وسلاسل ونظم فآثار هذه السلاسل وهذه النظم لا يمكن أن تتحدد معانيها إلا في نسيج هذا الأثر أو البصمة، يقول دريدا: "إن كل عنصر يتأسس انطلاقا من الأثر الذي تتركه فيه العناصر الأخرى في السلسلة أو النسق"¹. فالكتابة تنشر لنا الوعي بالعلامات عكس الكلام وما يمكن القيام به هو تجاوز الثنائيات الميتافيزيقية مثل: كلام/ كتابة، نحو الكتابة الأصلية فاللغة تحتوي على العناصر وهذه الأخيرة تحتوي على إحالات داخلية للغة، وعبر لعبة الآثار والاختلافات والإحالات المتبادلة تنشأ تفضية (خلق فضاء) ومسافات، وانزياحات، وفواصل وهذا يعني أن ثمة داخل اللغة اختلافا بالضرورة. . فتقصي الدلالات اللغوية وجنورها في عدد من المفردات يكشف عن جزء من عدم إستقرار التفكيكية على ما هو يقيني ودعوتها إلى دخول في شباك الإحتمالات المتزايدة ، وبها أدى التفكيك إلى إنزياح طفيف في الدلالات وأصبح المفردات تكشف عن جزء عدم إستقرار التفكيكية فالنص يحتوي على الهوامش و إرجاء، وانزياحا فهذا النسيج الثلاثي في محتواة النص ذلك كله

*الأثر: أثر: EFFECT، EFFET، لغة: ما بقي من رسم الشيء وما يستدل على الشيء به ويجمع على آثار، يطلق بمعان أربعة: الأول: بمعنى المعلول، ومن هنا قولهم: الآثار العلوية للدلالة على الظواهر الجوية كما جاء في كتاب أرسطو الموسوم بهذا الاسم، ويقال: آثار الشيء ويراد بها لوازمه المعللة به. الثاني: بمعنى الصورة المطبوعة من جانب المؤثر في المتأثر. الثالث: بمعنى الخبر المنقول عن السابقين مما يقبل الصدق والكذب بذاته، الرابع: ما يترتب على الشيء، وهو المسمى بالحكم عند الفقهاء، (مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007، ص 21).

1- جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سينا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2000، ص33.

هو ما يدعوه دريدا: *الكتبة* أو وحدة الكتابة وعنصرها وقد اقترح استبدال العلامة اللغوية وفعاليتها في بناء النص كما هي مطروحة عند سوسور وثنائيته " الدال والمدلول" فجاء دريدا بمفهوم الأثر بوصفه الحامل لسيمات الكتابة، ولنشاط الدال يقول: " لا يكون نص نصا إن لم يخف على النظرة الأولى وعلى القادم الأول. قانون تأليفه وقاعدة لعبه ثم إن نصا ليظل يمعن في الخفاء أبدا يمكن لخفاء النسيج بأية حال أن يستغرق في حل نسيجه قرونا، النسيج منظويا على النسيج قرون لحل النسيج من دون انتهاك خلق الأثر القاطع"¹. فالأثر عند دريدا له أبعاد متعددة باعتباره قائم ضمن مجموعة من البدائل الممكنة لمصطلح التفكير أو الاختلاف فالأثر هو بمثابة قناة لارتباط العلامة بسابق النص والذوبان في علامات أخرى لاحقة في نشاط من تشتت الدلالات، فالأثر بوصفه اختلافا وأيضا بوصفه تفكيكا ونصا وكتابا وهو ما يجعل الكتابة في صورتها التفكيكية متشظية تبعثر نواة اللغة إلى طاقات دلالية تشتت الدال على جوال متعاقبة بمدلولاتها لكن في شكل متصدع ومؤجل بعيدا عن كل معنى أو حضور، يقول في هذا دريدا: " ليس مفهوم الأثر أي ارتباك طبيعي مع المدلول في الواقع، إن انقطاع هذا الارتباط الطبيعي يجعلنا نراجع بالأساس فكرة الطبيعية وليس فكرة الارتباط ولهذا فكلمة مؤسسة لا ينبغي تفسيرها بصورة متعجلة في نظام التعارضات التقليدية"²، ويضيف أيضا قائلا: " فإن الحضور بدل أن يكون كما يعتقد عادة ما يدل عليه الدليل وما يحيل إليه الأثر، فإنه يصبح أثر محو الأثر ذلك بالنسبة إلينا هو النص الميتافيزيقي، وتلك هي اللغة التي تتكلمها، وذلك هو الشرط الذي

* الكتبة le gramme: هي وحدة الكتابة، عنصرها، تقابل " الصوتية" phone ينتصر دريدا للأولى من ا " الخفض" الذي مارسه عليها الفكر الميتافيزيقي فينشئ عليها ما يدعوه ب: الكتابي le grammatique لكن هنا أيضا، وكما يشدد عليه دريدا في مناسبات عديدة، فهو لا يقوم بهذا لإعلاء من شأن الكتبة على حساب الصوتية، أو الكتابة على حساب الكلام (لو فعل هذا فلن يكون قام إلا بقلب المنطق الميتافيزيقي وكرر حركته)، بل لإبراز: " كتابة أصلية" لا تعنى بدورها كتابة الأصول، وإنما مبدأ أو حركية للكتابة تعمل في كل من الكتابة والكلام، وتجد أساسا في النقصية: espacement، والتمييزية: diacriite، أي: مجموع عمليات المنفصلة التي تخضع لها كلا من الكتابة والكلام، كالفراغات والفواصل، والمسافات والتنقيطات... جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ص 12.

1 - المصدر نفسه، ص 13.

2- جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 125.

ينبغي توفره لكي تحيلنا الميتافيزيقا واللغة التي نتكلمها إلى مجاوزتهما.¹ فالأثر في نظر دريدا ليس حضورا وإنما هو: *سيمولاكر الحضور فالأثر: يعتبره هذا الفيلسوف يتنافى مع أنماط الزمان التقليدي ولمجازة الميتافيزيقا ينبغي أن يكون هناك أثر موشوم على النص الميتافيزيقي، يحيلنا لا إلى حضور آخر، أو أي شكل من أشكال الحضور، وإنما إلى نص آخر، وأن وشمة هذا الأثر على النص الميتافيزيقي لا يمكن أن تدرك إلا كمحو للأثر نفسه فالمحو هذا يخلق أثره في النص. فمقولة الأثر: التي اجترحها دريدا في سياق " علم الكتابة " كانت بهدف إطاحة بمركزية الصوت والثأر للكتابة المهانة. وفي نفس الوقت يعتبر الأثر من المفاتيح الهامة لإستراتيجية التفكيك خاصة ما تعلق الأمر بالقراءة و *التأويل. وأيضا يعد الأثر شرط أساسي للعبة الاختلافات يقول في

¹ - عبد السلام بنعبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء -المغرب ، ط1، 1991، ص 79.

* سيمولاكر:السيميويزيس sémiosis . أول من أدخل مفهوم السيميويزيس الى ميدان السيميائيات هو: شارل سندرز بورس. بل أول من أرسى دعائم نظام التبدليل وانتاج الدلالات. يمر عبر ميكانيزم خاص أطلق عليه اسم السيميويزيس. والسيميويزيس في نظره سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي من اجل بناء نظامها الداخلي، ثلاثة عناصر هي مايكون العلامة ويضمن استمرارها في الوجود ما يقوم بالتمثيل (ماثول) . وما يشكل موضوع التمثيل (موضوع) وما يشتغل كمفهمة تقود الى الامتلاك الفكري (التجربة الصافية)، (مؤول)، ان تمثل كل التجارب الانسانية بكل احجامها وامتداداتها وأشكالها يمر عبر هذه السيرورة، وانطلاقا من هذا المفهوم سيتم التعامل مع التجربة التأويلية باعتبارها لا نهائيتها في المطلق الكوني، وباعتبار محدوديتها ضمن السياق الخطابى الخاص.(امبرتو ايكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء،المغرب، ط2، 2004،ص138.

**التأويل: يشتق لفظ الهرمنيوطيقا hermeneutics من الفعل الإغريقي hermeneuein وهو فعل يدل على عملية كشف الغموض الذي يكتنف شيئا ما، أو إعلان رسالة وكشف النقاب عنها، ويشق الفعل من اسم الإله الإغريقي هرمس hermes وهو إله متعدد المواهب: فهو رسول الآلهة ، وإله الحدود، وإله التجارة.....الخ، ومن اللفظ الإغريقي اشتقت الكلمة الانجليزية: hermeneutics والتي درج الباحثون العرب على ترجمتها بالهرمونوطيقا أو الهرمنيوطيقا وهي وصف للجهود الفلسفية والتحليلية التي تهتم بمشكلات الفهم والتأويل، وتقوم الهرمونوطيقا على فلسفة التعمق خلق ما هو ظاهر من تعبيرات ورموز للكشف عن المعاني الكامنة والجوانب غير المتغيبية من الخبرة أو التجربة في محاولة لفهم المجهول بالمعلوم، فجوهر عملية التأويل هو الكشف عن ما يكمن خلف الأشياء الظاهرة من دلالات ومعاني ومحاولة كشف الغموض البادي في الظاهر بالتعمق خلفه والكشف عن آفاق للمعاني لا ندركها من مجرد النظرة الظاهرية الخارجية، (الدكتور: أحمد زايد: الهرمنيوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، مكتبة البنين، قسم الدوريات، جامعة قطر، العدد الرابع عشر، 1412-1991، ص. ص 229-230).

هذا : " إن بنية العلامة محددة بأثر هذا الآخر الغائب إلى الأبد وبالطبع لا يمكن لهذا الآخر أن يكون موجودا في وجودها الممتلئ والمعجم نفسه يكشف عن ذلك، فكل علامة تحيل إلى علامة أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية¹. إذ يعتبر الأثر مفتاح هام للكتابة الأصلية باعتباره يمثل شبكة العلاقات الداخلية في تكوين العلامات وهذه الوظيفة لا يمكن عزلها أو إفرادها، فالأثر ينتمي إلى حركة "الدلالة" وبالتالي لا بد من أن نفكر في هذه الدلالة مكتوبة قبلها سواء دونها في شكل أم لا أو في عنصر "حسي" و"مكاني" نسميه "الخارج" فالأثر هو العلاقة الملغزة للداخل مع الخارج، المسافة أو الخارج، وبها يعتبر دريدا الأثر في قوله: "الأثر ليس جوهرًا وموجودًا حاضرًا، إنما صيرورة تتبدل بشكل مستمر ومعرضة باستمرار للتفسير"². فالأثر في نظر الدريدي لا يمكن إدراجه ضمن المفاهيم التقليدية، وإنما يمكن اعتبار الأثر بمثابة صيرورة تتغير باستمرار عبر النصوص فالأثر له تأثيره الوجداني على القارئ التفكيكي فهو ينبثق من قلب النص كقوة تتشكل بها الكتابة من خلال تحركه من أعماق النص متسربا من داخل مغاوره ليشغل طاقاته بالفعاليات الملتهبة مؤثرا بذلك على كل ما حوله، كما للأثر حضور متصدع سرعان ما يغيب عند كل إمحاء، وشطب، وعند كل إمحاء ترك لأثر إمحاء جديد يحيلنا إلى نص آخر أثره محور لأثر نفسه و يقول أيضا : " إن الأثر لا يعني فقط اختفاء الأصل إنه يعني هنا في الخطاب الذي نتبناه والمسار الذي نتبعه أن الأصل لم يختف لكي ننتزع مفهوم الأثر من التصور التقليدي، ينبغي علينا الحديث عن أثر أصلي: *archi trace* وبرغم ذلك نعرف أن هذا المفهوم يدمر الاسم الذي يحمله وأنه لو بدأ كل شيء بالأثر فلن يكون هناك أثر أصلي"³. إذ لا بد على النص أن يترك أثرا كما يشير في الوقت نفسه إلى انمحاءه وبقائه محفوظا في دوال أخرى، فالأثر هو بمثابة أصل التكرار والذي يربط الحي بغير الحي بوجه عام ولا يتشكل نهائيا كأصل فالأثر الخالص هو "الإرجاء" وهذا "الإرجاء" فهو ليس محسوس بقدر ما هو معقول ويسمح باتصال العلامات فيما بينها داخل النظام المجرد لنص صوتي أو خطي

¹ - جايتيريا سبيفاك - كريستوفر نوريس: صور دريدا (ثلاث مقالات عن التفكيك)، ترجمة: حسام نايل، مراجعة وتقديم: ماهر شفيق فريد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، د ب، دط، 2002، ص 31.

² - جاك دريدا: انفعالات، ص 176.

³ - جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 147.

على سبيل المثال أو بين مستويين من التعبير، كما يسمح أيضا بتوافق الكلام مع الكتابة. إذن فالإرجاء هو تشكيل الشكل ولكنه من جانب آخر هو الوجود المطلق للبصمة.

المبحث الثاني: إستراتيجية التفكير عند جاك دريدا

يتوصل فيلسوف التفكير دريدا إلى أسلوبه الخاص في تحليل النصوص ونقدها ويطلق على هذا الأسلوب باسم: إستراتيجية التفكير. فتعد هذه الإستراتيجية بمثابة رفض ميتافيزيقا التراث الغربي وتروم هذه الإستراتيجية على قراءة الفكر الغربي قراءة شاملة، وإعادة النظر في المفاهيم التي تأسس عليها كخطاب ميتافيزيقي: كالحقيقة، والفعل، والهوية، والحضور، والأصل، كما تعتبر هذه الإستراتيجية بمثابة شبكة شديدة التعقيد والتداخل هدفها فك هذا التشابك وتخليص الخيوط بهدف تحديد مساراتها وغاياتها، يقول دريدا: " إن ما كان يثير اهتمامي آنذاك وما أحاول السير فيه بطرق مغايرة حاليا هو في نفس الآن اقتصاد عام و" إستراتيجية عامة معينة للتفكير"، أما مهمة هذه الإستراتيجية فهي تفادي التجميد البسيط للمعارضات الثنائية الميتافيزيقية والمراوحة البسيطة عند مجال مغلق يؤكد شرعيتها.¹ فتعمل الإستراتيجية على عملية قلب النصوص باعتبارها أنها تتموضع داخل هذه النصوص وداخل الثنائيات الميتافيزيقية، وليست إستراتيجية مجرد إتفاق حول النص من الخارج فقط و يضيف قائلاً: " إن التفكير ليس نظرية أو منهجا، وليس مذهباً هرمنيوطيقيا بالقطع، بل يمكن تسميته، مؤقتاً، إستراتيجية للنص"². فأطلق دريدا على مشروع النقد في دراساته حول الغراماتولوجيا باسم إستراتيجية. وهذه الأخيرة باعتبارها عملية ممارسة نقدية على النصوص. والعمل داخل الحدود الميتافيزيقية، والتموضع داخل الظاهرة (الميتافيزيقا) وتوجيه ضربات لها من الداخل. فيحاول " فيلسوف الهوامش" أن يقيم إستراتيجية شاملة للتفكير وتتفادى هذه الإستراتيجية الوقوع في فخ المقابلات الثنائية الميتافيزيقية، ويدعو إلى قلب مراتبية الأفق الميتافيزيقي بحيث يصبح يمثل " الأسفل" مكان " الأعلى". فهذه الحركة تجد في نظر دريدا تبريرها في كوننا داخل المقابلات الفلسفية الكلاسيكية، ثم

¹ - جاك دريدا: مواقع (حوارات)، ص 42.

² - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 309.

تأتي الحركة الثانية تتمثل في العمل ميدانياً أي داخل النسق الذي يجري تفكيكه للكشف عن عجزه وتناقضه هكذا يطاح بالعلاقة التراتيبية القديمة، ويمهد لوجود مفهوم جديد يقول دريدا " فالإستراتيجية أن تتضمن على عنصرين أساسيين: الجديدة أولاً: ... أما العنصر الثاني فيتمثل في الدهاء (أو المكر) فللكشف عن خطر لغة (المعلم) أو (السيد)، ... يجب إتقان منطقها والإطاحة بمفهوماتها، ومن ثم إرجاعها ضده، بهذه الحركية المزدوجة " ¹. فالتفكيكية عملية نقدية قائمة ومبنية على إستراتيجية شاملة وتعمل هذه الإستراتيجية على ممارسة مزدوجة العملية على النصوص وقلبها، من خلال فك عقدها وتحليلها وعزل عناصرها بعضها عن البعض فالإستراتيجية التفكيكية التي جاء بها هذا الفيلسوف التفكيكي دريدا يعتبرها إستراتيجية خاصة به، وتعد بمثابة اختراع وأيضاً بمثابة ثورة بحيث يصبح لكل مؤلف له نسق خاص به (un mobile) وإستراتيجية تميزه عن غيره. ولهذا تنطلق إستراتيجية التفكيك من موقف فلسفي مبدئي قائم على الشك، ويكمن هذا الشك الفلسفي من خلال نقد ورفض التقاليد الغربية يقول دريدا "تقوم إستراتيجية التفكيك على إبراز المعضلة ap orie وهي نوع من المفارقة أو المشكلة التي تبقى بلا حل، وإن كانت هي الأساس الذي لا غنى عنه لدفع الإنسان للبحث عن الحلول، وأمامنا نموذج آخر للمعضلة وهو الضيافة التي تقتضي كي تكون ضيافة بحق، ألا تكون مشروطة بعدد أو بمدة أو بانتماء، ولكن هذا النوع من الضيافة مستحيل التحقيق وهذا هو معنى أن الاستحالة شرط الإمكان ²، فإستراتيجية التفكيك التي جاء بها الفيلسوف الفرنسي دريدا تهدف إلى إبراز والكشف عن المشكلات، وكأن هذه الإستراتيجية تعمل على تحقيق غاية معينة دون مقابل أي بدون هدف معين، وأبسط مثال عن ذلك تقديمه مثال حول " الضيافة" وهذا ما يتجلى في قوله التالي: " تناقض غير جدلي بين قانون الضيافة من جهة، والقانون غير المشروط لضيافة غير

¹ - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص 29.

² - جاك دريدا: في علم الكتابة، 45.

محدودة أن تعطى للقادم كل مأواه وذاته ونعطيته خصوصيته وخصوصيتنا من غير أن نطلب منه لا اسمه ولا مقابلا ، ومن جهة أخرى، قوانين الضيافة، هذه القوانين والواجبات المشروطة والشرطية ولا مقابلا ولا أن يملأ أي شروط.¹ فيعتبر دريدا في نظره أن كل نصوص تحتوي على معضلات، وتناقضات، ألغاز ثغرات، وبالتالي لا بد من البحث عنها وتوسيع فهمنا للنصوص، واستكشاف التناقضات من خلال قراءتنا ما بين السطور وهذا ما تقوم به الإستراتيجية التفكيكية تبحث داخل الأنظمة وهذه الأخيرة مرتبطة بمجموعة من القوانين كمشروع "الضيافة" الذي اقترحه هذا الفيلسوف يتم على مستوى اللغة وتحاول هذه الأخيرة ان تخلق فضاء للنقاش والحوار، ومنه فالضيافة الدريدية ضيافة لغوية. خالصة وغير مشروطة منفتحة مسبقا لأي زائر غريب، لكن تبقى تحمل نوع من المخاطرة وتطرح مشكلات عديدة يعني: هل الضيافة هي ضيافة حقيقية دون مخاطرة؟ وهل الضيافة المضمونة والمأمونة والمزودة بنظام مناعي يحميها ضد كل ما هو آخر؟ وهكذا فتبقى مسألة الضيافة تطرح مشكلات متعددة، وغيرها من المواضيع التي طرحها الفيلسوف الدريدي. فإستراتيجية جاك دريدا هي بمثابة الغوص في العمق والقيام بعملية الحفر والبحث لفهم المعاني والدلالات من خلال تفكيك النصوص لإظهارها بأنها عبارة عن مركبات تتألف من عدد من النصوص الأخرى، وطبق دريدا هذه الإستراتيجية على كتابات عدد كبير جدا من الفلاسفة، والأدباء، وحتى المفكرين بهدف التعرف على طبيعة الاتصال اللفظي من خلال الكتابة والكلام، وهذا ما يقوم به القارئ المفسر للنصوص يقول دريدا " لا يمكن للخلخلة الجذرية أن تأتي إلا من خارج هذه الخلخلة تكمن في العلاقة العنيفة بين الكل وخارجه بناء على ذلك لن يكون الاختيار إلا بين إستراتيجيتين: أولا- أن نحاول الخروج وفك البناء ثانيا-أن نغير من موقعنا منفصلين عنه بغتة ، ومن الواضح أن الاختيار بين هاتين الصبغتين

¹ - أن ديفور مانتيل تدعو جاك دريدا كي يستجيب للضيافة، ترجمة: منذر عياشي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009، ص 48.

من التفكير وفك البناء لا يمكن أن يكون بسيطاً ولا واحداً¹. فما يهيم التفكير إذن أن يضع نفسه في الخارج باعتبار أن هذا الخارج مرتبط بالداخل. ويقوم التفكير على العثور على اللبنة القلقة في أي بناء نص معين وإثارة النصوص وانهيارها بمجملها وهذا ما تقوم به إستراتيجية التفكير وأيضاً بعث طاقة التعبير في المعاني المهمشة لكل الكلمات، ولهذا نجد جل كتابات دريدا بوجه عام وأيضاً تفكيكه للعديد من نصوص غيره من المفكرين بوجه خاص فنجدها تتميز بجدل الكلمات وتمتلى كتاباته بالألفاظ وبدائل الألفاظ التي يصعب نقلها إلى العربية وهذا ما يتجلى في مجموعة مصادره، وتعمل إستراتيجيته التفكيكية على تفكيك النصوص بهدف الكشف عن مفارقاتها ولا يمكن الوصول إلى هذه المفارقات الموجودة ضمناً في النصوص إلا من خلال القراءات المتأنية، وقيام بعد ذلك مقارنة الكلمات بعضها ببعض واستبدال موقعها داخل النصوص فيأتى فيلسوف التفكير بنصين مختلفتين ويطبق إستراتيجيته على هذين النصين ويربط أفكار الموجودة بين النصين. ويبدل كلمات النصين ببعضها البعض لكي يصل في الأخير إلى معان جديدة، يقول دريدا: ' وفي داخل الاختتام وبواسطة حركة منحرفة ودائماً خطيرة. ينبغي إحاطة المفاهيم النقدية بخطاب حذر ودقيق وتحديد شروط هذه المفاهيم، ومجالها وحدود فاعليتها وتعيين انتمائها بصورة صارمة إلى الآلة التي تسمح هذه المفاهيم بتفكيكها وفي الوقت نفسه بيان الفجوة التي تسمح بان نلمح ما لم يسم بعد، وهو وميض ما بعد الاختتام²، فإستراتيجية التفكيكية لا تعنى إلغاء ورفض المفاهيم السابقة، وإنما تعمل على إدخال مفاهيم جديدة، وإبراز وإظهار المفاهيم المقصية داخل التقابلات الميتافيزيقية الغربية، إذ باعتبار انه ليس هنالك نصوص متكاملة متجانسة لا تسمح بالدراسات والقراءات التفكيكية، فلا بد من طرح أسئلة متعددة تهز النصوص بأكملها بهدف تفكيكها وتحليلها. يقول دريدا " فإن تفكيك الفلسفة معناه أن

¹ - عبد السلام بنعبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر، ص 80

² - جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 76.

تقيم *جينالوجيا مفاهيمها وفق أكثر الطرق أمانة، وأقربها إلى الداخل، ولكن في الوقت ذاته، انطلاقاً من خارج لا تستطيع هي أن تصفه أو تسميه¹ إذ يذهب التفكيك إلى أصوله بمعوله ليكشف لنا تناقضات الداخلية للنص وبالتالي الخروج من منطق الثنائيات، ليمنح الأولوية للجانب المهمش منها، وإعطاء الاعتبار للمفاهيم المتمثلة في : الغياب- التعدد- التشتت- الاختلاف والتعمق في هذه المفاهيم بهدف التخلص من المنطق التقليدي وتأسيس منطق آخر قائم على إستراتيجية شاملة نقدية موجهة بالتحديد نحو النصوص وبالتالي نجد أن إستراتيجية التفكيك للفيلسوف الدريدي تلتقي مع الجينالوجيا للفيلسوف الانتشوي من ناحية " الهدم " للأوثان الميتافيزيقية، لكن هناك بطبيعة الحال اختلاف بين " التفكيكية " ، و " الهدم " الانتشوي في الصبغة الأكاديمية التي يتخذها، وبالتالي موجه بالأساس نحو النصوص الفلسفية والأدبية، يقول في هذا الصدد دريدا عن التفكيك : " فهو ليس تحليلاً لأن تفكيك عناصر بنية ما على الخصوص، لا يعني الرجوع إلى العنصر البسيط ولا إلى أصل غير قابل للحل ، وهو ليس نقداً، لا بالمعنى العام، ولا بالمعنى الكنتي ، وهو ليس منهجاً، ولا يمكن تحويله إلى منهج، خصوصاً إذا ما شددنا في هذه اللفظة على الدلالة الإجرائية أو التقنية. " ² إذ في نظر دريدا أن التفكيك عبارة عن إستراتيجية وحركة داخلية تتموضع داخل النصوص، وتختلف من

* جينالوجيا: قراءة تقوم على مفهوم التفكيك، تفكيك نموذج القول الذي قام عليه فعل التفلسف الذي يتميز بإجراءات إقامة التناظر بين المعنى والقيمة، فالجينالوجيا: تفكيك ناقد لمنطق الهوية الناهض على ثنائيات متعارضة كالصدق/ الكذب، الخير/ الشر، ظاهر/ باطن،...الخ، ومن جهة أخرى تتجدد معنى كلمة الجينالوجيا: في كونها دراسة النشأة والتكوين لإثبات النسب، والوقوف عند الأصل، وهذا ما يؤكد نيتشه في كتابه " جينالوجيا الأخلاق " وهكذا فالجينالوجيا حسب " نيتشه " لا تنظر إلى الميتافيزيقا كمعرفة وإنما همها في المقام الأول البحث عن إرادة الحقيقة، وبالتالي الميتافيزيقا عندها أخلاق ولغة، ويكمن النقد الجينالوجي حسب ما سلف خلخلة وتفويض ووسيلته في ذلك المطرقة. (المعانيد الشرقي، المنهج الجينالوجي عند فريديريك فلهلم نيتشه، الحوار المتمدن، دب ، العدد: 4906، 2015-8-24 ، ص 05.

1 - عبد السلام بنعبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر، ص 80.

2 - جاك دريدا: عن الحق في الفلسفة، ترجمة: عز الدين الخطابي، مراجعة: جورج كتورة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، أكتوبر 2010، ص 13.

سياق إلى آخر، بل من وضعية إلى أخرى، فالنصوص تحتوي على مجموعة من المفاهيم والمدلولات وتعمل الإستراتيجية على تفكيكها وزعزعتها من موقعها. ولتفعيل هذه الإستراتيجية التفكيكية اقترح دريدا بدائل أخرى كالأثر، الفارماكون، الإضافة. فعمل على قلب النظام الهرمي الذي أقامته الميتافيزيقا الغربية والعمل على الانفتاح عن الهوامش، والكشف عن الخلفيات الثابوة وراء البديهيات والمسلمات التي اعتمد عليها الفكر في بناء أنساقه، فتوسل دريدا بهذه الإستراتيجية للاضطلاع بمهمة مزدوجة في الفكر الفلسفي المعاصر مهمة قوامها الهدم والبناء، أي: هدم ميتافيزيقا الحضور الذي أقصى الهامش، والخارج، ثم القيام بعملية بناء ما يسمى بفكر الاختلاف، يقول دريدا: " إن النتائج المبدئية التي حققها التفكيك تعتبر كافية ، على الرغم من منحة الامتياز للشكل الفلسفي للخطابات، من موقعه كعملية، نظرية واستدلالية ، وبواسطة نظام جبار لقوى ولضروب من التضاد، يشكل موضوعا للتفكيك ذاته." ¹ فالإستراتيجية التفكيكية عملية تفتيتية لكل خطاب، تشكل وفق مجموعة من الآليات ودلالات معينة كما هي موجهة بالأساس إلى فهم العلاقات داخل المنظومة والعمل على تنظيم عناصرها بطريقة عقلانية، كما أن هذه الإستراتيجية ليست مجرد أن يبحث المؤلف خلف النصوص ولا قيامته على ملائمة الأفكار بعضها ببعض، وإنما المقصود بهذه الإستراتيجية بالأساس تفجير النصوص أو الخطابات الفلسفية، والعمل على تحريضها فيما بينها للوصول في النهاية إلى العديد من المدلولات اللانهائية. فيعد التفكيك أهم حركة "ما بعد البنيوية" في النقد الأدبي فضلا عن كونها الحركة الأكثر إثارة للجدل أيضا وربما لا توجد نظرية في النقد الأدبي قد أثارت موجات من الإعجاب وخلقت حالة من النفور والامتعاض مثلما فعل التفكيك في السنوات الأخيرة فأحدث دريدا ثورة عارمة استهدف من خلالها العديد من المواطن التي ساهمت بالنسبة له في إرساء المركزية الغربية. وبهذا اعتبرت " إستراتيجية التفكيك " إحدى الآليات التي تعمل على تشطي

¹ - جاك دريدا: عن الحق في الفلسفة ، ص 140.

النص الأدبي من داخله وانحلاله إلى أجزاء متعددة يقول دريدا: " نعرف أن التفكير يتحول إن عاجلا أو آجلا إلى كل قراءة نقدية أو تركيبية نظرية حينما يتم اتخاذ قرار تظهر السلطة، حينما تعمل النظرية أو النقد . عندئذ يشكك التفكير بمجرد أن يفعل ذلك يصبح مخربا. وفي نهاية الأمر يحقق التفكير مراجعة التفكير التقليدي " ¹. فالإستراتيجية التفكيكية نجحت وبسرعة ملحوظة في تحقيق شعبية غير مسبوقة في تاريخ الحركة النقدية الأمريكية وتحولت الدراسة التفكيكية نحو " النصوص الأدبية " وهدف هذه الدراسة التشكيك في أن يكون للنص الأدبي معنى ثابت ولهذا حاول دريدا أن يبرهن على ذلك من خلال اعتباره أن هناك عناصر داخل النص الأدبي تمنع تمرزه أو استقراره حول معنى محدد، وأن تفسير النصوص تتعرض لما هو مكبوت فيها من احتمالات لا متناهية ومن لعبة المعاني التي تضيع عبر مصادر النص أو ما اصطلح على تسميته دريدا *بالتناص والواقع أن بعض الأفكار الأساسية لتفكيك دريدا " كالمعرفة "، " اللغة "، " الحضور"، " الغياب"، لا نهائية الدلالة إذ به يرفض القراءات المعتمدة وغياب المركز الثالث للمعرفة والتناص. فيعتبر هذا الأخير من مبادئ وأدوات المقاربة النقدية، بواسطته يمكن قراءة النص في ضوء استتطاق التأويلات من علاماته التي تقوم بطرح إشكالية الإنتاجية، فمن خلاله يتم تحويل النص إلى مجموعة النصوص السابقة ويكون بذلك مفهوم التناص العام في تدوير عدة مفاهيم لهذا المصطلح بعد أن أضى جدال الفكر النقدي الحديث وعليه " *فالتناص " هو تشكيل نص جديد من النصوص السابقة وخلاصة للنصوص تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر ، ولا يمكن إلا

¹ - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 293.

* التناص: تناص بتشديد الصاد. على وزن تفاعل. الدال على التشارك كالتجاذب والتخاطب، ونقله بعضهم نقلا، لصاقيا على طريقة النحت فقالوا: بيضية، ومعنى التناص تقارض النصوص وتبادلها للتأثر والتأثير، ومعنى بينصية وقوع النص بين النصوص بغية الدلالة على ما بينها من اشتراك في الأفكار، والصور، والتراكيب، والمشاعر. (غازي مختار ظليمات: التناص واهل التفكيك، البيان، دب، د ع، 09 مايو 2002، ص 03).

للقارئ أن يكتشف "الأصل" ¹. من خلال دخوله في علاقة مع نصوص بطرق مختلفة يتفاعل بواسطتها النص مع الماضي والحاضر. إلى جانب مصطلح "التناص" يوجد مصطلح آخر مهم لدى دريدا هو "النص" أو النصية الشاملة، ويعنى بها على سبيل القياس بما يحدث في النص أن العلاقة الاختلافية بين العناصر اللغوية المنفصلة تنتج تأثيرا في المعنى المثالي المتجانس الذي عنده تتوقف الإحالة والذي يسكن عالم العقل الخالص نائيا عن مادية النص فعلى هذا النحو أيضا يصبح العالم نسيجا محبوكا من الآثار التي توجد بوصفها أشياء يحيل بعضها إلى بعض أو يرتبط بعضها ببعض تلقائيا، من هذه الناحية تعتبر الأشياء علامات (ذلك أن العلامة هي دائما علامة على شيء آخر أي لا يمكن لها إلا أن تحيل إلى آخر ما) ²، وبها نجد أن التفكيكية تقوم على ضوابط ومنطلقات متضادة أولها- أن النصوص حتى الفلسفية منها ليست بسيطة أو واحدة المعنى بما يعنى عدم التعامل معها كأنساق مغلقة بل مفتوحة تتضمن قوى متناقضة ومرجعيات متعددة تعرضت لتوجيه صاحبها، وثانيها- وبناء عليه فمن الضروري إغفال كل ما يعتبر أصلا مسلما به في هذه النصوص وبذا يفقد الأصل امتيازه الميتافيزيقي، وثالثها- أنها بهذا تحمل في طياتها تعارضا بين دلالاتها الظاهرة والمستترة لما يساعد على استنطاقها والوصول بها إلى دلالات جديدة تتجاوز سياقها الأصلي، ورابعها- وأخيرا أن هذا التعارض ليس مسألة عارضة أو حدث عن طريق الخطأ وإنما هو سمة مرتبطة بالنص ³. ومن خلاله نجد أن الفيلسوف الدريدي تجاوز عتبة ما كان مفهوما عن النص باعتباره بنية مغلقة، ومعنى متماسك يحكمه إذ به دفع بالنص حسبه إلى عرض كامل طاقاته والكشف عن تناقضاته، وهنا تكمن مهمة "

1- ملكة فريحي: مفهوم التناص: المصطلح والإشكالية، مجلة ثقافية فصلية، عود الند، الجزائر، د، ص 07.

2- ميشيل رايان: مدخل إلى التفكيك، ص 52.

3- محمد حافظ دياب: جاك دريدا ومغامرة الاختلاف، مجلة أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، د، العدد 5279،

إستراتيجية التفكير " النفاذ إلى عمق النص والكشف عن " الغياب " والمسكوت عنه ". كما نجد أيضا أن إستراتيجية دريدا تتبع مصطلح آخر وهو " التشتت " أو " التشتيت " يقول دريدا " التشتيت طريقة في الكتابة. لكن هذه الطريقة لا تخضع لنظام وأسلوب الفهم بالمعنى الأدبي، فالتشتيت يستوجب الجمع مثلا بين مقتضيات المقاربة اللسانية المتعارف عليها، والموقف الذي ينزل الكتابة منزلة الحياة الفعلية. ¹. فالتشتيت عنده يعمل كتقنية داخل تاريخ الفلسفة الذي سيتحول مع دريدا إلى مخبر تمتحن داخله الأفكار وعلى هذا الأساس يتعين استخدام " التشتيت " بما يتوافق مع المقاصد الدريدية بخصوص تفكيك الميتافيزيقا وبناء الإتيقا، وعليه " فالتشتيت " كمارسة تفكيكية يتم من خلاله استهداف الميتافيزيقا من مداخل ببعثرة مقولاتها وبلبله منطلقاتها بقصد مجاوزتها إذ نجد أن هذا الفيلسوف ينحت كلمات جديدة يمتلك هو وحده مفاتيح معناها مثل: كلمة *ittérabilité* وتعنى: التكرار المغايرة، والتحول التبعثر. ويقصد بها: " أن أي نص لا ينطوي على كلمات مفتاحية تشع عند تكرارها بالمعنى الموحد للنص، وإنما ينطوي النص على تكرار يؤدي إلى تعديل المعنى وبعثرته وتشتيته ². ولهذا نجد أن كل نص يحتوي على آثار من معاني ماضية أو قادمة وهذا ما تحمله الكتابة، ويبقى نشاط التفكير مرتبطا بالأساس على قدرته لاستجواب النصوص والغور في لعبة المعاني أي العمل على تكلمة المعنى من خلال تفويض سلطة المعنى الثابت والعمل على فتح القراءة لتفجير النص بمدلولاته المختلفة. كما ارتبطت فلسفة التفكير بالأدب على مستويين: مستوى الكتابة البلاغية للتفكيك، ومستوى الاستثمار الهائل للتفكيك في مجال النقد الأدبي وهذا ما يتجلى في قول دريدا: " إن عملية التفكير لها في ذاتها بعد شعري، والتحليل التفكيكي الذي يتناول العمل الأدبي هو بوطيقا بشكل ما أو هو على

¹ - سامي الغابري: تفكيك الميتافيزيقا وبناء الإتيقا في فلسفة جاك دريدا، دار الخليج، عمان، ط2، 2017، ص 151.

² - جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 24.

الأقل فيه ملمح من قوة البوطيقا، لكن المفكك يعمل على تلك النصوص التي تمتاز باحتوائها على طاقة فلسفية لما تكون أكبر وأعمق من الخطاب الفلسفي الأكاديمي¹. فحاول هذا الفيلسوف التفكيكي من خلال تفكيكه مساءلة مختلف النصوص باحثا فيما إذا كان النص فعلا يمتلك " معنى Sens سيما وأن اللسانيين يعترفون أن أي تتابع الكلمات أو الجمل لا يكون بالضرورة نصا ولهذا الغرض قام دريدا بتفكيك أعمال كثيرة ومنها الأعمال الأدبية littéraires كتلك المتعلقة على سبيل المثال بموريس بلانشو (1907-2003)، فرانسيس بونج (1899-1988)، نيتشه.. وكانت إحدى اهتمامات دريدا المركزية التي تثيرها أعماله تتمثل في قضية العلاقة بين " النص الأدبي " و " النص الفلسفي"، ولهذا يعتقد أن الفصل بين النصين (الأدبي- والفلسفي) أمر مستحيل من حيث أن الفلسفة لا يمكنها تجاوز " البلاغة " و " الأدب " و " اللغة " ، ويتضح ذلك جليا فيما أوضحه نيتشه مثلا: : أن اللغة المجازية هي: الشرط الأساسي لظهور كل من الفلسفة والأدب على السواء². ويرى في ذلك دريدا أن الفكر الفلسفي عاجز عن التعبير بذاته عن ذاته فهو دائما بحاجة إلى المجاز ليكون ظاهرا جليا وهذا ما تجلى لدى العديد من الفلاسفة من خلال استخدامهم للمجازات للتعبير عن أفكارهم. فعلى سبيل المثال استخدام أفلاطون أسطورة الكهف إلى جانبه الفيلسوف الديكارتي استخدامه لفكرة " الشيطان الماكر" بالإضافة إلى هيدجر نجد عنده " بيت الوجود. فهذه المجازات والاستعارات تدل على الكثير مما كان يقصده الفيلسوف، وعليه فإن كل نص فلسفي هو نص مزدوج فيه " الظاهر" المعلن، والآخر يتم تهريبه في زوايا النص كالهوامش، علامات وترقيم، أمثلة، وأخيرا المجازات، ولهذا حاول دريدا أن يفضح الخواص المجازية للخطاب الفلسفي، وما استخدمه من استعارات، يقول دريدا: " ألا نحلم بميتافلسفة، وبخطاب أكثر عمومية سيظل خطابا من نوع فلسفي بخصوص مجازات من الدرجة

¹ - جاك دريدا: في علم الكتابة ، ص 26.

² - فريدة غيو: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، ص 198.

الأولى وبخصوص هذه المجازات اللاحقيقية التي تجعل الفلسفة مفتوحة جزئياً، سيكون من المهم في عمل نحو عنوان ميتا - مجازات مثل هذا التركيز¹. ويقول أيضاً: " إذا ما كان تذوقي للأدب وشغفي به مبدئياً فأنا فيلسوف"². فتفكيكية دريدا أو إستراتيجيته الموجهة بالأساس نحو النصوص تعمل على تطوير الأفكار وتفاعل الدوال الناتج عن الإستراتيجية وتميز دريدا عن بقية كتابات الفلاسفة والأدباء السابقين من خلال مزجه بين النصين " الأدبي " و " الفلسفي " إذ نجد أن النص الأدبي يدرس دراسة تفكيكية فلسفية، أمّا النص الفلسفي يدرس دراسة لغوية. ويعتبر دريدا أن كل استعمال للغة ينطوي بالضرورة على ضرب من الاستعارة . وعليه فإن استعمالنا للغة الفلسفية هو استعمال بطبيعة الحال لا يخلو من الاستعارات ولهذا يكون المجاز في اللغة التي تعبر من خلالها عن المضمون الفلسفي المفاهيم الفلسفية وليس في المفاهيم ذاتها أي لا تكون الاستعارة ممكنة فقط وإلا عندما يتعلق الأمر باستخدام اللغة، ومن خلالها نجد أن موضوع اللغة في الفلسفة المعاصرة موضوعاً بارزاً وهاماً لدى العديد من الفلاسفة ومن بين هؤلاء نجد الفيلسوف الفرنسي دريدا، فنلاحظ من خلال نظريته التفكيكية كونها نظرية لغوية بالأساس وبالتالي فهو متيم لها ولذا نجده وكأنه يشعر بالضياح خارج اللغة وخاصة اللغة الفرنسية، و كانت مسألة اللغة عنده منغمسة ومتعمقة بالتحديد حول النصوص بهدف الكشف عن المفاهيم والمصطلحات اللغوية الميتافيزيقية للتراث الغربي، وإعادة الاعتبار للكتابة على حساب كل من الصوت والقراءة، ووصله إلى إستراتيجية شاملة ونقدية وبهذا يعتبر الخطاب التفكيكي خطاباً مابعد الحداثة منسب حول اللغة والتفكيك.

¹ - جايتيرياسيفاك: كريستوفر نوريس: صور دريدا، ص 84.

² - جاك دريدا: في علم الكتابة، ص 19.



الاختلاف
في فلسفة
جاك دريدا

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الاختلاف في فلسفة جاك دريدا

يمثل مفهوم * الاختلاف مفهوما مركزيا بل مفهوما جوهريا وأساسيا لدى العديد من الفلاسفة وخاصة فلاسفة ** ما بعد الحداثة أمثال: جيل دولوز ، و ميشال فوكو. فبيد أن مفهوم الاختلاف كمفهوم تخللته إختلافات متباينة لدى هؤلاء الفلاسفة من خلال انطلاق ما بعد الحداثة لنقدها لمسألة *** الحداثة فبعد بناء هذه الأخيرة كل المعارف والمفاهيم ومثلت مشروع قائم على أسس ذاتية، وعقلانية وإيمانها بفكرة التقدم الإنساني وحتمية التاريخ والطبيعة، فجاءت ما بعد الحداثة كثورة قائمة على هدم وتقويض كل هذه المعالم الأساسية للحداثة وعملت على إلغاء البنى المغلقة التي مجدت العقل والإنسان، والحقيقة المطلقة وأصبحت الفلسفة ما بعد الحداثة فلسفة عملت على قلب المفاهيم الحداثية وإدخال مفاهيم جديدة كالتشتت ، الغياب ، الفوضى ، والكثرة إلخ والتعدد الثقافي، و الخطابى، والاجتماعى، والدينى، ولهذا نجد من أهم وأبرز فلاسفة الاختلاف الفيلسوف الفرنسي الذي نحن بصدد دراسته: جاك دريدا إذ أقرن إسم دريدا في الفلسفة المعاصرة حصرا بمسألة الاختلاف

*الاختلاف لغة ضد الإتفاق والفرق بينه وبين الخلاف أن الإختلاف يستعمل في قول بني على دليل والخلاف فيما لا دليل عليه. والإختلاف عند بعض المتكلمين هو عون الموجودين غير متماثلين أي غير مشاركين في جميع الصفات النفسية، وغير متضادين أي غير متقابلين ويسمى بالتخالف أيضا. فالمختلفان والمتخالفان موجودان غير متضادين ولا متماثلين. والإختلاف والهوية متضايقان أي لا يفهم أحدهما إلا بالآخر، ولا يوجد إلا به. فلا معنى للهوية بدون الإختلاف. كما لا معنى للاختلاف بدون الهوية.(عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتب مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص28.

** ما بعد الحداثة . تعتبر كلمة" ما بعد الحداثة " عن مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة الغربية تتميز بالشعور بالاحباط من الحداثة ومحاولة نقد هذه المرحلة والبحث عن خيارات جديدة، وكان لهذه المرحلة أثر في العديد من المجالات، أنظر:

<https://www.wikipedia.org> 17-05-2019-14.00

*** الحداثة: جاء في المعجم الفلسفي أن الحديث في اللغة نقيض القديم، ويرادفه الجديد وعلى هذا تصبح صفة الحديث ذات دلالة معيارية تعلى من شأن المسائر للزمان والمنتج مؤخرا والصادر في وقت قريب ويطلق لفظ الحديث على دلالات إصطلاحية تشير إلى صفة أو خاصية تميز سلوكا أو عملا أدبيا.(بوزيرة عبد السلام: طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، يناير 2011، ص23).

والتفكيك. ومنه نطرح التساؤلات التالية: فيما يتجلى الاختلاف عند دريدا؟ وما علاقة الاختلاف بالتفكيك على وجه العموم وبالحضور والغياب على وجه خاص؟ أما فيما يتعلق الأمر بالبناء الهيكلي لهذا الفصل الثالث وهو الأخير بعنوان: الاختلاف في فلسفة جاك دريدا فتمثل في مبحثين هما: المبحث الأول: مسألة الاختلاف في الفكر التفكيكي وقسمته إلى عنصرين: أولاً مفهوم الاختلاف عند جاك دريدا، ثانياً مكانة الاختلاف في الفلسفة التفكيكية، أما المبحث الثاني تمثل هو الآخر في ثنائية الحضور والغياب.

المبحث الأول: مسألة الاختلاف في الفكر التفكيكي

أولاً: مفهوم الاختلاف عند جاك دريدا

تعد مقولة الاختلاف إحدى المرتكزات الأساسية للفلسفة التفكيكية من خلال اعتبار أن " الاختلاف " بمثابة البحث عن طريق " التفكيك " أي: عن حضور الشيء، عن ازدواجية الخصائص داخل الشيء نفسه، ولهذا نجد أن مصطلح " الاختلاف " أو " المخالفة " أو " التخالف " مصطلح صاغه الفيلسوف الدريدي سنة 1968 في ضوء أبحاثه في نظرية اللغة عند العالم اللغوي "سوسور"¹، إذ نجد أن هذا الأخير بتقابلاته الشهيرة حيث أعطى للعلامة (دال/ مدلول) قيمتها في إطار علاقتها واختلافها مع غيرها، كما ميّز بين عنصرين هاميين هما: اللّغة الحاملة للطابع الجماعي، تليها مجموعة منتظمة من الرموز والكلام فكل الدراسات التي قام بها سوسور وضعت اللغة في إطار مختلف عن إطارها السابق فقد اعتبرها نظام من العلامات أو الإشارات المتغيرة التي تتكون من " دال ومدلول " ، وتعتبر عن أفكار ولا تعمل إلا من خلال المجموعة²، كما ربط الأحداث الكلامية بالنسق اللغوي حتى تنتج مفعولاتها مثلما هي الأحداث الكلامية ضرورية لنشأة النسق. فالاختلاف عند سوسور وصفه بكونه غير قابل للصياغة بالمفاهيم، واعتبر أن اللّغة في أعم أشكالها يمكن أن تفهم باعتبارها نظام اختلافات من دون حدود إيجابية يعني أن هذا البعد في اللغة يجب أن يبقى دائما غير مدرك حسيًا. لكن مع دريدا يصبح " الاختلاف " هو النموذج الأصلي ومخالف لسوسور ولهذا يرى دريدا صعوبة ترجمة لفظة " الاختلاف " إلى اللغتين الفرنسية والانجليزية، وحتى اللغة العربية، وهذا ما مثله من خلال كتابته لهذه الكلمة ويتضح ذلك من خلال قوله التالي : " لست أدري إن كان يعني شيئاً أو كان شيئاً آخر من نتاج ما

¹ - جون ليشته: خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فانتن البستاني، مراجعة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط1، أكتوبر، 2008، ص 223.

² - نبيلة دين: محاضرات في الألسنية العامة، مجلة ثقافية فصلية، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، العدد الفصلي 12 ربيع ، ص 07 .

نسميه الميتافيزيقا دليلا (دال/مدلول) ، لقد لاحظت أن هذا الحرف يكتب ويقرأ بينما لا يمكن سماعه. إن الصفة المشتقة من فعل خالف/ اختلف Differer [أي مغاير Different] والتي قياسا عليها ابتكر هذا الاسم [Différance] تجمع صنفا كاملا من المفاهيم اعتبرها نسقية وغير قابلة للاختزال¹. فصاغ دريدا مصطلح "الاختلاف" بطريقة مغايرة ومختلفة إذ نجد أن هذا الفيلسوف الدريدي طرح مصطلح La Différence مع حرف (A) الصامت إذ به يقف عند المعنى الذي ترد إليه كلمة الاختلاف Différence. وكأن دريدا هنا أي لكتابته لمصطلح أو لكلمة الاختلاف (ا) ف. قام بتشويه هذه الكلمة، والتي تكتب باللغة الفرنسية العادية بهذه الطريقة Différence إذ به عوض حرف (A) بدل الحرف (E) والمقصد من ذلك إبراز التعقيد الإشكالي للدلالة، التي تعنى عنده تجاوز الحضور فهي من آثار الصراعات داخل جدلية ميتافيزيقا "الحضور- والغياب". فالحرف A يشير مباشرة إلى التردد فلا هذا ولا ذلك، فلا تنظيم ولا تحكم في ظل التعارض والتنافر²، فعند كتابة حرف A أو حرف E لكلمة الاختلاف فنجد أن هناك اتفاق في النطق بين كلمتي Différence و Différance لكن هناك اختلاف في مدلولهما إذ تحيل اللفظة الأولى (différence) إلى "الاختلاف" أي التمايز، تحيل إلى الفعل Différencier ، أما اللفظة الثانية التي كتبها دريدا Différance ليحيل بها "الإرجاء" أو "التأجيل" أو "الإخلاف".

¹ - جاك دريدا: مواقع (حوارات)، ص 14.

² - فريدة غنوة: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، ص 190.

ثانياً: مكانة الاختلاف عند جاك دريدا

يعتبر " الاختلاف " عند دريدا بأنه ليس كلمة ولا مفهوماً، بل سلسلة من الحروف يمكن النظر في كل منها على حدة E يصبح A على مقتضى إستحضار معنى معين يخالف المعنى السابق، فاضطر " جاك دريدا إلى تحويل المفردة Différence إلى Différance مفيدا من هذا التحويل من منطوق الفرنسية الذي يمنح اللاحقة ance معنى الفعل وطاقته أي ما يقابل المصدر في اللغة العربية، أمّا المقابل العربي لهذا التحويل فهو (الأخذ - ت - لا - ف) مشيراً بذلك إلى فعل " الأخلاف ". إخلاف الهوية موعدها مع ذاتها وإحالتها إلى الآخر لتصبح المفردة الجديدة تعني تماماً الاختلاف المرجئ.¹ يقول دريدا: " إلى أن الاختلاف المرجئ لا يكون ولا يوجد وليس وجوداً حاضراً على أي نحو كان، مما يقودنا أيضاً إلى ضرورة وصف كل شيء لا يكونه الاختلاف المرجئ - كل شيء - وعليه لا ينطوي الاختلاف المرجئ على وجود متعين ولا جوهر، فهو لا ينشأ عن أي تصنيف للوجود، سواء كان هذا الوجود حاضراً أو غائباً. " ² إذ نجد أن الاختلاف المرجئ عند الفيلسوف الدريدي له مكانة مهمة وكبيرة في فكره باعتبار أن الاختلاف المرجئ عنده هو بمثابة كلمة mot ومفهوماً أيضاً concept ويكمن أهمية الاختلاف المرجئ إذ نجده يجعل الكتابة غير قابلة للتحكم فيها، أي يجعلها مراوغة، يجعلها قوة ليست حاضرة تماماً تقضي بالنص إلى حالة دائمة من عدم الاستقرار، فيختلف عن نفسه، ويؤجل نفسه، ويكتب نفسه بما هو اختلاف مرجئ³. فالاختلاف المرجئ Différance لفظة جديدة استخدمها دريدا لنجمع بين فعلين هما: To Differ يعني إختلافاً من حيث المكان أو من حيث العلاقة بالآخر. والفعل To Defer يعني إطالة أو تأخير وعندما يصوغ دريدا هذه المفردة الجديدة يريد الإمساك بالحركة " الزمكانية " السابقة للمفاهيم أو البديهيات في الفلسفة الميتافيزيقية كاللغوس

¹ - عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الحصاد، سورية- دمشق، ط1، 2000، ص 90.

² - أيان ألموند: التصوف والتفكيك، ص ص - 67 - 68.

³ - المصدر نفسه، ص 69.

الوجود المحدد بأنه حضور أسبقية الوعي...الخ، وتتمثل نقطة إنطلاق دريدا في أنه لا توجد بديهيات أولية، ولا لحظات حقيقية مطلقة أو تطابق ذاتي، ولا مبادئ تأسيسية إلاّ وينتجها "الاختلاف المرجئ"¹. فيعمل هذا الأخير على بطلان الهوية الذاتية من خلال التفكير في طبيعة العناصر التي تندرج في سلسلة أو بنية، ولهذا يكتسب كل عنصر جوهره أو يوجد بما أنه في علاقة مع عناصر أخرى ويصبح كل عنصر له " وجود " " حضور " بسبب إختلافه مع عناصر أخرى غائبة فيرجئها أو يؤخرها، ويندرج حضور العناصر الأخرى في شبكة مماثلة من " التأخير " و " الاختلاف "²، إذ نجد أن " الاختلاف " عند دريدا يربطه بمجمل العناصر أي باختيار " دريدا للفظه Différance وضع معها جملة من الكلمات التي يمكن أن تحل مكانها أي تصبح هذه الكلمات عبارة عن بدائل لها مثل: لفظه إضافة تعني ملحق ينضاف أو إنابة، إضافة تسند نقصا أصليا، أيضا لفظه: التشتت/ الانتشار/ البعثرة تعني كيفية تفريق العناصر على النحو الذي يصعب معه لمّها ضمن نظام أو نسق أو حتى ترتيب معيّن، ولتوضيح ذلك أكثر فمثلا حرف " ق " لا نجد له معنى معيّن إلا من خلال إندراجه في سلسلة من الحروف المختلفة ونكون كلمة " قطة " هنا تكتسب الكلمة معناها ووظيفتها في تسلسل لغوي تربط الكلمات المختلفة بعضها ببعض. وبفيد مفهوم " الاختلاف " في إبطال القول بوجود معنى جوهري أو بنية عميقة أو مضمون يحتاج المترجم إلى حفظه أو نقله، فمفهوم "الاختلاف" يدخل الفرق في كل الهوية، والعرض في كل ماهية والغيبية في كل حضور³، فكان المعنى الجوهري للفظه " الاختلاف " عبارة عن ماهية تتصف بوصف عقلي يتمثل في الهوية، وأيضا بوصف وجودي يتمثل في الحضور، فلزم أن يصرف مفهوم "الاختلاف" هذا المعنى صرفا ويجعل الألفاظ دالة على معان تلازمها الفروق والأعراض

¹ - ميشيل رايان وآخرون: مدخل إلى التفكيك، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 30.

³ - طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة 1 الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الرباط- المغرب، ط1،

والآثار، وإسترجاع المعاني المفقودة، وإحياء الإشارات المأصولة فهذه المعاني والإشارات تعمل على فتح آفاقا مثمرة للعمل على ممارسة المزيد من التفكير. وبها عمل دريدا على تصحيح اللفظة الفرنسية الدالة على "الاختلاف" فكتبها بحرف (A) وهي الاختلاف بمعنى التأجيل في حيز الزمان. يقول دريدا: " الأمر يتعلق بإنتاج مفهوم جديد للكتابة نستطيع تسميته حرفا gramme أو اختلافا، أما لعبة الاختلافات فتتطلب تركيبات وإحالات تمنع أن يكون أي عنصر بسيط، في أي لحظة وبأي شكل من الأشكال، حاضرا لذاته وفي ذاته، وسواء كان الأمر متعلقا بالخطاب الشفوي أو المكتوب فإن أي عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة على عنصر آخر ¹، ويضيف أيضا قائلا: " إن هذا التسلسل أو النسيج هو النص الذي لا ينتج نفسه إلا من خلال تحويل نص آخر إذ لا وجود كلية إلا للاختلافات وآثار الآثار، إن الحرف باعتباره مغايرة وبنية وحركة لا يتركنا إطلاقا ن فكره، انطلاقا من التعارض حضور/ غياب فالمغايرة هو اللعبة المنهجية للاختلافات وآثار للاختلافات والتباعد الفضائي الذي يجعل العناصر يحيل الواحد منها إلى الآخر ²، إذ نجد أن "الاختلاف" هو بمثابة اللّعب المنتظم للتباينات ولآثارها، ويعمل على التنظيم الذي يربط بين العناصر فليس هناك إذن حضور مادي للعلامة، بل هناك لعبة الاختلافات فقط ولهذا يعمل الاختلاف على تخلخل وإجتياح العلامة وتحويلها إلى أثر ولذلك يشير "الاختلاف" هنا إلى تعدد التفسيرات من خلال المعاني باعتبارها متعددة ومستفيضة، وعدم الخضوع لحالة مستقرة وهذا ما يدفع القارئ إلى التعمق في النص، والغوص فيه، وقيامه بجولة بهدف التصيد وا ستخراج المعاني الغائبة. فمقولة "الاختلاف" إحدى المرتكزات الأساسية للمنهجية التفكيكية وإن دلالتها تتعدد ويقوم مصطلح " الاختلاف " على تعارض الدلالات لمكونات الكلام، ليس بناء على خصائصها الذاتية وإنما بناء على الاختلافات فيما بينها، وتوسع دريدا حول هذا في قوله التالي: " إن تفاعل الاختلافات سيتتبع تراكيب وإحالات تمنع من

¹ - جاك دريدا: مواقع (حوارات)، ص 29.

² - المصدر نفسه، ص 29.

وجود عنصر بسيط في أي لحظة من اللحظات أو أي شكل من الأشكال يكون حاضرا بذاته ولا يحيل إلّا إلى نفسه ، فإنه ليس ثمة من عنصر يمكنه أن يكون رمزا دون الاتصال بعنصر آخر هو أيضا ليس حاضر ببساطة ، ولا شيء من العناصر أو النظام يكون حاضرا أو غائبا ببساطة ¹، وكأن دريدا يتصدى لبنية النظام الناجز في النص من خلال تفكيكه للنص ليواجهه عاريا فيفتقي آثاره فكل لفظة من الألفاظ تحمل صوت داخل النص تضم في ثناياها آثارا من الرموز الأخرى فمثلا: سلسلة الأصوات " بات " لا يمكنها أداء وظيفتها رمزا باعتبارها رمزا إلا أنها تختلف عن " ذات - قات - مات ... الخ فكتابة دريدا للفظه " الاختلاف " مع إدخال حرف (A) ليس خطأ إملائي ولا مجرد زلات القلم صدرت منه بقدر ما هو حيلة قصدها لإبراز الاختلافات الواردة في *الدلالة ضمن المستوى الصوتي والكتابي، ويصبح La Différance هو التبديل المنظم للاختلافات ولآثار الاختلافات ومقترنا ومرتبطا "بالتأجيل" و "الإرجاء" و " بالتشتت " و "الانتشار". وغيرها من المفاهيم الدريدية. يقول دريدا: " إن مدلول المفهوم ليس حاضرا في ذاته، ليس حاضرا في حضور مكثف يحيل به إلى نفسه لا غير، ذلك أن كل مفهوم يندرج حتما وأساسا في سلسلة أو نسق يحيل ضمن حدوده إلى مفهوم آخر وإلى مفاهيم أخرى، عن طريق لعبة نسقية من الاختلافات" ² . فعمل دريدا على نقض المدلولات النسقية النصية وتحريم النص وفتح هذا الأخير على آفاق جديدة لكونه يمثل شبكة من النصوص المتداخلة والمتشابكة والمتقاطعة فيما بينها، فالنص عند هذا الفيلسوف الفرنسي لا يشكل وحدة ذات هوية زمنية محددة، بل النص عنده عبارة عن طبقات ورواسب نصوية بدوال ومدلولات لا متناهية.

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 219.

* الدلالة la signification الدلالة معنى يفيد لفظ أو رمز ما، ومنه دلالة الكلمة أو الجملة، يقول الجرجاني: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والشيء الثاني هو المدلول فالدلالة إذن: كما أصبح ذلك واضحا في علم اللسان هي العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول (جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 2004، ص 192).

² - ميشيل رايان وآخرون: مدخل إلى التفكيك، ص 32.

يكون فيها كل عنصر من العناصر حاملا " لأثر " عنصر سابق أو لاحق يختلف معناه باختلاف " السياق"، " والنظم"، "والتركيب" فنجده يتشكل من نصوص أخرى جديدة تربطها علاقة " الاختلاف" la Différance وتحكمها قاعدة التثنية والخروج من دائرة الانغلاق النصية، إلى الانفتاح وتكثيف " المدلولات" اللانهائية يقول دريدا: "إن موضوع المغايرة Différance حين تكتب بهذا الحرف a الصامت فإنها لا تشكل مفهوما بل إنه لا تكون كلمة، وهذا ما حاولت التدليل عليه في مقام آخر، لكن هذا لا يمنعها أبدا من إنتاج آثار مفاهيمية وتكتلات كلامية أو اسمية تكون مطبوعة ومهمشة بحدة هذا الحرف الغريب"¹. ويضيف قائلا أيضا: "فالمفاهيم من قبيل الأثر الحرف Gramme، إن هذه اللائحة لا نهاية لها وهي ليست تصنيفا مغلقا من حيث المبدأ لذلك فهي لا تشكل أبدا معجما أولا لأنها ليست ذرات (معاني ذرية أولية) ، بل هي بؤر تكثيف إنها حفر أكثر فورانا تنشر على شكل سلاسل تشمل مجموع النصوص في جانبه النظري والتطبيقي".² وهذا ما تجسده الكتابة عند دريدا فالكتابة عنده لعبة الاختلافات التي تتطلب تركيبات وإيحاءات تمنع أن يكون أي عنصر بسيط في أي لحظة وبأي شكل من الأشكال حاضرا لذاته وفي ذاته، فتأسيس نص مختلف يعني اللعب الحر " للعلامة " مما يقضي لا نهائية مدلولاتها، وعليه فيبقى نص التفكير نسا مختلفا بمثابة نسا يغوص في أعماق "الدلالة" بهدف استحضار الغائب أو المغيب من خلال القراءة المستمرة والمتتالية المنتجة " للاختلاف" وتصبح موضوع اللغة عند دريدا ليست مجرد فضاء تواصل والحوار أو عبارة عن مجموعة من العلامات والرموز والإشارات، بل أصبحت لب وجوهر العمود الأساسي في فلسفة دريدا لكونها تمثل: " لغة الاختلاف ". فتصبح اللغة عند دريدا في هذه الحالة تستمد منبعها من التوالد المتكرر والمستمر للمدلول فتنتج " دال" وراء " دال" في لعبة متواصلة لا نهاية لها، فالاختلاف هو بناء وحركة، وتنظيم لعناصر الدلالة والاختلاف بطبيعة الحال مع دريدا بحرف A يعني

² - جاك دريدا: مواقع (حوارات)، ص. ص 40 - 41.

² - المصدر نفسه، ص 41.

المغايرة والتأجيل، ولتوضيح ذلك المغايرة تعمل على تثبيت الدلالة أما التأجيل فدوره التفكيك من خلال القراءات المتأنية للنصوص من خلال العمل على إحالة دال إلى دال آخر مع تغيب متعمد للمدلول وتعمل على ممارسة المراوغة وهي بمثابة فخ أو حيلة تمارسها التفكيكية. ولهذا يبني تصور دريدا لمفهوم العلامة بصفة عامة من خلال انطلاقه من مفهوم الاختلاف السويسري ليقول في ذلك: " إن معاني الدوال لا تتحدد من خلال ارتباطها بمدلولاتها بل من خلال اختلافها مع دوال أخرى قبلها وبعدها لأن المدلولات غير حاسمة ومرجأة بصفة لا نهائية"¹. من هنا يتبدى معنى كلمة ما غير كامن فيها بل من خلال غياب كلمات أخرى، فحضور الدال وارتباطه بمدلوله هو غياب الدوال والمدلولات الأخرى، وقيمة الدوال إذا تتمثل في غياب دوال أخرى، وبالتالي لا تتحدد هوية العلامة في ذاتها بل من خلال الانفتاح على العلامات الأخرى المختلفة عنها ويذهب دريدا أيضا في قوله: "إلى أن مفهوم العلامة بحد ذاته لا يتأسس إلا من خلال غياب مفهوم آخر، فالحضور والغياب يشكلان الأساس الذي يبني عليه النسق المنتج للعلامة"². وبالتالي تكشف إمكانية إنتاج العلامة مادامت الاختلافات تتخر مدلولاتها، أي إنما يصنع العلامة هو تاريخ من التراكبات غياب وحضور وأبدع دريدا مفهوم الاختلاف المرجئ لتفسير حركة اللعب التي تتحكم في اشتغال النسق وفي إنتاج العلامات.

ولهذا كان الاختلاف المرجئ عند دريدا هو بمثابة الصوت الوسط، فلا هو فعل ولا هو إنفعال، وأيضا ليس علامة تمثل الحضور ولا يحكمه نسق الحضور (لغة/ فكر) كما هو معروف في الميتافيزيقا الغربية ولا انتصارا للكتابة على الكلام، ولا للكلام على الكتابة، ولا ينتمي إلى الصوت كلاً، ولا إلى الكتابة بالمعنى المعتاد بينما يعين الحدود بين الكلام والكتابة، فيضل الاختلاف بمثابة سيرورة الدوال قبل إحالته إلى معنى ما، فالاختلاف هو

1- سامية بن عكوش: البنيوية والتفكيك: النص، العالم، وسياسة المعنى، مجلة تبين، الجزائر، العدد16، 2016، ص 61.

2- المرجع نفسه، ص67.

الحركة النشيطة للاختلافات يقوم عبر إرجاء الحضور، الحقيقة، والمعنى وهذا ما يفسر كون النص نسيج دوال لا تستقر على مدلولات نهائية قطعية وعلامات لا تحيل إلى مرجعيات معينة ونص لا يتعلق على معنى أخير. " فالنص متعدد المعاني بشكل مطلق لأنه يستحيل الإتفاق على معنى أو معيار متجاوز ولذا فإن هناك معاني بعدد القراء، فهو مجرد مجال عشوائي للعب الدوال... والشفرات المتداخلة."¹. فليس الاختلاف المرجئ للمعنى إلاّ رصدًا لأثر المعنى فكل قراءة نسيج وحدها لا يتكرر. وكل فعل قراءة هو إقتفاء لأثر المعنى فهذا الأخير مؤجل أو مرجئ عند التفكيكية، فالاختلاف عند دريدا هو فعالية حرة غير مقيدة ويوجز تعريفه بالقول: " إن الاختلاف لا يعود ببساطة لا إلى التاريخ ولا إلى البنية، فالاختلاف يوجد في اللغة ليكون أول الشروط لظهور المعنى "². فمصطلح الاختلاف كان سببا ومشكلة في الترجمة بسبب الالتباس الحتمي المرتبط به، ولهذا يرى دريدا أن المعنى يتولد من خلال اختلاف الدال عن الآخر. فكل دال متميز عن الدوال الأخرى ومع ذلك فهناك ترابط واتصال بينهما، وكل دال يتحدد معناه داخل شبكة العلاقات مع الدوال الأخرى. لكن معنى كل دال لا يوجد بشكل كامل في أية لحظة (فهو دائما غائب رغم حضوره)، وهكذا فالاختلاف عكس الحضور والغياب بل يسبقهما، ولا يكون إلاّ بوجود الكتابة أو صوت يسمح بالتفضية والفواصل تنتج آثار وآثار الآثار.

¹ - سامية بن عكوش: البنيوية والتفكيك ، ص62.

² - فاطمة زهرة سمايل: القراءة التفكيكية، مجلة ثقافية فصلية، الجزائر، العدد 12، 2019، ص 4.

المبحث الثاني: ثنائية الحضور والغياب

تميزت الفلسفة الغربية بشكل عام في نظر " جاك دريدا " * بالحضور وأطلق عليها هذا الأخير باسم " ميتافيزيقا الحضور وتمحورت هذه الفلسفة الغربية حول فكرتين جوهريتين هما: " التمرکز حول العقل وتسليطها الضوء على "فكرة الحضور" باعتبار أن الفلسفة من أفلاطون إلى ** هيغل هي فلسفة الحضور ونعني بذلك أن الحضور - يتلخص في الميتافيزيقا التي حاولت تكريسه في كل الميادين الفكرية فالوعي هنا لا يعترف إلا بما يحضر في الوعي لديه، فيتخذ شكل " الدلالة ، والقانون ، والهوية وغيرها. ويعني ذلك أن فكر الإنسان هو مركز الكون¹، وترمي ميتافيزيقا الحضور على تعيين الوجود بوصفه حضورا، وبالتالي هي القول بوجود سلطة أو مركز خارجي يعطي الأفكار، والألفاظ، والأنساق مصداقيتها. على العقل البشري من خلال تعالي خطابها على " اللّغة " ذاتها وتفرض خطابها باعتباره صادرا عنها لا عن البشر، وأطلق دريدا على هذا الطابع باسم "ميتافيزيقا الصوت". يقول دريدا: "بين الكتابة الصوتية وبين اللوجوس (أو بينهما وبين زمان المنطق) الذي يسيطر عليه مبدأ عدم التناقض. بوصفه المبدأ المؤسس لميتافيزيقا الحضور بأكملها، تعالق عميق."²

* الحضور مصدر حضر نقول: حضر الغائب قدم، وحضر المجلس شاهده، وحضور الأمر خطوره بالبال، وحضور البديهة سرعتها، والحضور مرادف للحضرة، نقول: كلمته بحضرة فلان، وكنت بحضرة الدار أي: بقربها، والحضور عند الفلاسفة: كون الشيء حاضرا وهو نوعان: الحضور المادي: يتمثل في وجود الشيء بالفعل في مكان معين، والحضور المعنوي: حضور ذهني، وهو أن تكون صورة الشيء موجودة في الذهن يدركها إدراكا مباشرا، أو إدراكا نظريا، أو أن يكون الذهن¹ شاعرا بحضور الشيء، ومنه قولهم: الشعور بالحضور (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص478).

** هيغل HEGEL (1770-1831) فيلسوف ألماني استطاع تشكيل نسق فلسفي متكامل الذي يشمل العقل، والمنطق، والروح القائمة على الجدال انطلاقا من الفكرة ونقيضها ثم المركب بينهما، إنطلاقا من المذهب المثالي الذي ينتمي إليه، والذي يجعل من الفكر منطلقا للوصول إلى الواقع، بمعنى أسبقية الفكر على المادة، ففلسفته مثالية تقوم على الجدال في مختلف المواضيع التي تناولها أما عن مؤلفاته فترك هيغل ما يربو على عشرين مجلدا نشرت بالألمانية عدة مرات وترجم بعدها إلى عدة لغات من بينها العربية: منها: ظاهريات الروح - علم ظهور العقل - فينومولوجيا الروح - محاضرات في فلسفة التاريخ... وغيرها: محمد الشهيد العيشاوي: مفهوم الدولة بين هيغل وماركس، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017، ص 05.

1- عادل عبد الله: التفكيكية، ص 72.

2- محمد طواع : ملاحقة سلطة المعنى أو دريدا مفككا للميتافيزيقا، أنفاس من اجل الثقافة والإنسان، (دب)، العدد 9912، 2016/4/12، ص 04.

فتمركز الميتافيزيقا حول اللوغوس، وإعطاء الأولوية والامتياز للكلمة المنطوقة باعتبار هذه الأخيرة جوهر أساسي لحضور الصوت بين كل من المستمع والمتكلم في آن واحد أثناء لحظة صدور الكلام. ويضيف دريدا في قوله: " اللوغوس الكلام الإلهي أو كلام العقل بما هو كلام تدبرته ذات إلهية متعالية، هو بالتالي خطاب الذات نفسها بما هي مؤسسة ومدعومة بذلك الخطاب، كلام قادر في عرف الميتافيزيقا أو في وهما على استدراك نفسه تصحيحها"¹ فالخطاب الميتافيزيقي كما اعتبره دريدا يحدد الوجود باعتباره " حضورا " والعقل الذي لطالما مجدته فلسفة الحضور فنسج حول ذاته ولهذا يرى دريدا أن الفكر الغربي نظرتة وتصوره للكتابة واللغة يقوم على مفهوم " الدليل"، من خلال ثنائيتة المتمثلة في (دال ومدلول) ومن هذا المنطلق لا كتابة تقوم إلا على التمييز المطلق بين التلفظ والمفوظ باعتبار أن اللفظ مرتبط بالتلفظ، والنطق، والصوت، والمعنى والدليل... وغيرها. وينظر إلى المعنى باعتباره " أصلا " و " ماهية " و " حضورا" فهذا التصور تجسد لدى العديد من الفلاسفة ولتوضيح ذلك نأخذ مثال على سبيل ذلك: ما يتعلق الأمر " بالكوجيتو الديكارتي ": " أنا أفكر، إذن أنا موجود "²، فالأنا هنا عند *ديكارت خارج عن مجال الشك الذي يفكر فهو بهذا المعنى حاضر أمام نفسه في فعل التفكير من ثم فوجوده مؤكد كلما نطق بكلمة " أنا موجود" أو تصوره في عقله، ويصبح جواب الشرط " أنا موجود" صادق بالضرورة كلما تم تصوره أو التلفظ به. فالعقل الأوروبي الغربي لا يرى العالم إلا من خلال تقابل الأطراف كتقابل (الأنا والآخر)، (الكتابة/ الكلام)، (المعنى/ اللا معنى)، وهكذا سواء تعلق الأمر

¹ - جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ص 05.

² - فريدة غيو: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، ص 190.

*رينيه ديكارت RENE- DISCART (1596- 1650) فيلسوف فرنسي الملقب بأبو الفلسفة الحديثة، وعمل مؤرخا الفلسفة الديكارتية على تقسيم حياة ديكارت الفكرية إلى ثلاث مراحل رئيسية وهي: أولا: مرحلة المنهج والعلوم: وتشمل كتاباته الأولى (1617- 1627) مؤلفه غير المستكمل " قواعد لقيادة الفكر" 1628، كتاب العالم 1633، مقالة الطريقة 1637.. الخ، ثانيا: المرحلة الفلسفية البحتة: تعمق فيها ديكارت في بحث المسائل الفلسفية خصوصا الميتافيزيقا منها، وفيها وتجلد هذه المرحلة في كتاب التأملات، ثالثا: المرحلة الفلسفية الاخلاقية: تظهر في بعض مراسلاته مع الأميرة اليزابيت الهولندية، وكريستين ملكة السويد، وفي كتابه انفعالات النفس وفي هذه المرحلة يعيد ديكارت عرض فلسفته في كتاب اراد ان يكون شاملا هو كتاب مبادئ الفلسفة المنشور باللاتينية 1644 (رونيه ديكارت: العالم او كتاب النور، ترجمة وتعليق: ايميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت -لبنان، ط 1، 1419هـ - 1999م، ص.ص 7-8).

*بالمثالية عند هيغل أو **بالمادية عند ***ماركس أو بغيرها من مذاهب الفكر الأوروبي فإن الوجود ميتافيزيقيا كان، أو اجتماعيا، أو سيكولوجيا، ينظر إليه على أنه صراع بين الأضداد¹، فبناء الثنائيات الميتافيزيقية تقتصر في أغلب الأحيان إلى الدقة والموضوعية، وتميل إلى العمومية وحصر الآخر المختلف في قوالب لا تنطبق عليه في أكثر من الأحيان، ولهذا تروم إستراتيجية التفكيك عند دريدا على قراءة الفكر الغربي قراءة شاملة، وإعادة النظر في المفاهيم التي تأسس عليها كخطاب ميتافيزيقي مثل: [الحقيقة، العقل، الهوية، الحضور وغيرها]، وهي عبارة عن نقد التمرکز العرقي الغربي المحكم من طرف تمرکزات أخرى: كالتمرکز حول العقل، والتمرکز حول الصوت، والتمرکز حول القضيب ويتعلق الأمر بالنسبة لدريدا العمل على زعزعة وخلخلة ميتافيزيقيا الحضور باعتبار أن الإطار الذي نشأت ونبتت فيه الميتافيزيقيا يحدد الوجود بوصفه حضورا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني سواء إتخذ إسم: الصورة، أو الفكرة، أو الأصل²، وفي هذا الصدد يقول دريدا: " علينا إنتاج مفهومة جديدة لكن مع الاحتفاظ بوعينا بأن المفهومة لوحدها وبذاتها

*المثالية: Idéalisme بوجه عام: اتجاه قوامه رد كل الوجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ، فوجود الأشياء مرهون بقوى الإدراك، وتقابل المذهب الواقعي في الميتافيزيقيا (إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمبرية، القاهرة، دط، 1403هـ- 1983، ص 169.

** المادية: physique: مذهب أنطولوجي: فالمادة وحدها هي التي توجد وأن العالم المادي هو: العالم الوحيد الموجود، وأن الكون بأسره يتكون من مادة، وتذهب المادية أيضا: أن العالم (الكون) لا يحكمه العقل وإنما يعمل العقل على تفسير العلل عن طريق المادة، وفي العصر الحديث حاول ماركس تقديم مذهب مادي جدلي، باعتبار أن المادة تحتوي بحكم طبيعتها الخاصة على نقيضها، فالمادة وحدها هي الموجودة أيضا وجودا حقيقيا وواقعيًا وأنها الكون الأساسي وأصله (حبيب الشاروني: قراءة للمصطلح الفلسفي ترجمة: صفاء عبد السلام جعفر، دار الثقافة، الإسكندرية، 1999- 1991، ص ص 22- 24).

*** كارل ماركس k-marx- فيلسوف يهودي ألماني (1818- 1883) واقتصادي، وعالم الاجتماع، كتب عدة مؤلفات أهمها: رأس المال، نداء إلى الطبقة العاملة في أوروبا، ويفكر أنه أمسك بديالكتيك هيغل إذ يبدأ هذا الأخير بالفكر ويندرج إلى الطبيعة، أما ماركس فينادى بالعكس تماما، فالطبيعة هي: منبع الذي نشق منه بنة التاريخ (مجموعة من المؤلفين، فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم، ابن النديم، ط1، 2012، ص 199)

1- أنور محمد فرج أحمد: المركزية الغربية من التمرکز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر (د د)، (دب)، ط1، 2014، ص 65.

² - جاك دريدا: إستراتيجية تفكيك الميتافيزيقيا، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، أفريقيا الشرق، المغرب -الدار البيضاء، (د ط)، 2013، ص ص 6- 7.

قابلة لأن تستعيد ما كنا نوّد انتقاده¹. فمن خلال عمل دريدا على تفكيكه للمفاهيم الميتافيزيقية فإذ به يقترح بدائل أخرى في نفس الوقت تتمثل في سلسلة من المفردات المزدوجة المعنى كالأثر ، الفارماكون ، الإضافة . . إلخ. ولهذا بدأ دريدا مشروع النقد المركزي من دعوة " الاختلاف " لأنه وجد أن الفكر الغربي يقول دائما " *بالمماثلة " باعتبار أن هذه الأخيرة نتاج الميتافيزيقا التي أقصت كل شيء إلا ما يتصل " بالعقل " فتمركزت الرؤى والتصورات حول هذه الركيزة- المفهوم- وحينما حفر في ظروف نشأة التمرکز العقلي وطبيعته وجد أن الأمر تم بناء على تمرکز آخر حول " الصوت " أو " الكلام " وهكذا بدت هذه الظواهر متشابكة ومتداخلة كل واحد منها تغذى بالقوة والصلابة². فالميتافيزيقا ربطت بين " الوجود والحضور " فأصبحت هوية الوجود هي الحضور، كما احتل " العقل " مكانة سامية ومتعالية باعتباره القوة المنظمة للعالم، وهذا ما دفع بدريدا إلى بحثه في الحقول المعرفية التي رتبت أوضاعها في ضوء سلطة " التمرکز " فجعلها موضوعات للبحث من خلال عمله على حفر تلك البنيات الداخلية لتلك الحقول وعلى رأسهما قطبين جوهريين هما: نقد التمرکز " حول العقل "، ونقد " فكرة الحضور " . وهذا ما زاد " بفيلسوف الهوامش " إصرارا على ضم جميع المحاور الدلالية حول مقولة " الاختلاف " جاعلا منها مركز استقطاب الدلالي فيؤسس بواسطة " الاختلاف " رؤيته المعضلة بين (الحضور والغياب) وتبدأ مستويات " الحضور " و " *الغياب " بالجدل ضمن أفق الاختلاف، بحيث يصبح الاختلاف هدفا بذاته ومنه انطلق دريدا لإعلانه عن فلسفة مغايرة لفلسفة الحضور من خلال الانقلاب الذي حدث في تاريخ الفلسفة دفع بدريدا للقول: " بفلسفة الغياب الفلسفة التي تقول: بالآخر المغاير الذي لا يفتأ ينأى عبر صيرورة "الاختلاف". فالاختلاف في

¹ - سامي بلقاسم الفابري: تفكيك الميتافيزيقا وبناء الإيتيقا في فلسفة جاك دريدا، دار الخليج، عمان، ط2، 2017، ص 10- 11.

*المماثلة ANALOGY أن تعريف لفظه Analogy معجما يأتي من اللفظة اليونانية legein بمعنى تناسب من نوع ما، فالمشابهة تنتج نسب ذهنية مع الموضوع المدرك ولكنها لا تكون أبدا مطابقة وجاء تعريف المماثلة في القاموس العصري Analogy مماثلة مشابهة- قياس التشبيه أو التمثيل في المنطق، أما المماثلة فلسفيا تقوم على مماثلة الوجود فهي تذكر أن كل شيء له وجود (الشيء المادي أو الحادثة أو الفكرة)، مماثلة لشيء آخر في الوقت نفسه لا يشبهه، (باسم حسن هاشم الماجدي: المماثلة في العمارة، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد، دع، (بس) ص. ص. 2-3..

² - عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزية الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ب، ط1، 2005، ص 69.

**الغياب: غياب ABSENCE سمة كل ما هو غائب عن مكان أو عن موضوع معين، في حين يعتبر مثوله في مكان ما، أو في موضوع ما، بمنزلة أمر سوي، مألوف، أو على الأقل بمنزلة أمر متحقق، في ظروف أخرى (أندريه لالاند موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد1، ص 04).

تفكيكية دريدا ضربا من ضروب الانقلاب الكلي، إنه الغياب/ الآخر الذي يطرحه هذا الفيلسوف بديلا عن الحضور فالاختلاف في فلسفة دريدا بمثابة الركيزة والحجر الأساسي والجوهرى لبناء فلسفته ويكمن الاختلاف عنه دريدا بأنه: " ليس هو الحاضر مقابل الغائب"، فيتحاشى المثل أمام أحد دون أن يكون مختفيا تماما، فالاختلاف هو التغيير هو المقارنة المتحيزة (من الحيز) والقابل للتمييز فهو المصدر يتضمن معنى الأرجاء ويفيد معنى الأثر لا يكون متماثلا بل يبعثر ويشتت وبالتالي ليس لفظة ولا مفهوما¹. فقيمة فكر دريدا الاختلافي يكمن في قدرته على خلق واجتراح أفق جديدة للممارسة الفلسفية بعيدا عن المفاهيم القديمة إذ عمل على فتح قنوات التواصل من جديد بين الأدب والفلسفة، كما تطرقت إليها سابقا وإعلانه عن فلسفة مغايرة هي: فلسفة الغياب.

ويعتبر دريدا الحضور متجسد من خلال قوله التالي: " إن الحضور لا يعادل للواحد، ليس هو الكل، ليس هوية مجسدة، متصورة، وإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن العقل لا يستطيع في نهاية المطاف، كما تفعل الميتافيزيقا التقليدية ، برأي دريدا: أن تحدد هوية لا تمتلك حضورا نهائيا"². ففكرة الحضور باعتبارها في نظر دريدا ليس أصلا بل مشتقة نتيجة من نتائج " الاختلاف" فالحضور متوحد مع المثل ولكي يعمل الحضور في رأي دريدا لا بدّ من أن يكون له نقيض وهو: الغياب، يقول دريدا: " الأصل يحيل إلى لاحقة دائما والهوية إلى آخرها الذي يؤسسها هي نفسها كهوية، لذا يكون الاختلاف في حقيقته إحالة إلى الآخر وإرجاء لتحقيق الهوية في انغلاقها الذاتي"³. فالاختلاف هنا عند دريدا يعني أن لا نرجع الآخر والمتعدد إلى منطق المثل والشبيه ومن غير معقول أن يفهم الاختلاف على أساس تيار أحادي ومحدود المعالم، فالاختلاف يرجع في واقعيته إلى إعادة الاعتبار للآخر في هويته، لذا يكون الاختلاف في حقيقته إحالة إلى الآخر، وإرجاء لتحقيق الهوية في انغلاقها الذاتي، كما ان الاختلاف حسب دريدا. لا يسعى إلى أن يتم الاعتراف به بوصفه

¹ - عادل عبد الله: التفكيكية، ص. ص 72-73.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - المرجع نفسه، ص 89.

نقيضا للهوية لأن هذه الأخيرة (الهوية) والاختلاف. بوصفه نقيضا لها هما واحد في نظر دريدا على أساس أن الهوية قُدمت دوما على أنها تتمتع بطابع الوحدة، لكن مع دريدا الهوية والاختلاف معا، لأنهما من نتاج العقل، كما أن ليس لأي عنصر هوية خارج لعبة العلاقات الاختلافية فكل عنصر ينطوي على الآخر. ولهذا حاول دريدا التقرب من الآخر أي حاول أن ينطلق من: "عدم العقل" من آخره، ومن الوجه المقابل لحضوره، فدريدا يريد أن يضعنا أمام نوع خاص "لحضور الآخر" إذ لا بدّ أن نعي حضور ذلك الغياب، الغياب للآخر¹ ففلسفة الغياب عند الفيلسوف الفرنسي، الذي يرى أن في الذات جانبا لا يحضر في الوعي، وهو الجانب المنظم الذي تطرق إليه الفيلسوف الفرويدي والمتمثل في: اللاوعي، يقول دريدا: "فرويد يقول شيئا مبهما: إنه بفضل أن يكون لا نهائيا². ويضيف أيضا قائلا: "نعم هذه لعبة مزدوجة تنطبع في مجالات حاسمة بشطبة rature تترك الدليل المطموس ممكن القراءة، وتسجل في النص وبعثت كل ما يطمح إلى قيادته من الخارج سيتم إنتاج عمل نصي فيه متعة كبرى، إنها كتابة منفتحة على الذات"³. فمن خلاله نجد أن دريدا تأثر بالفيلسوف الفرويدي إذ عمل هذا الأخير بالكشف عن التقابلات الثنائية، والمتمثلة في: الشعور/ اللاشعور، الوعي/ اللاوعي، عقل/ جنون... الخ، يقول فرويد: "إن تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعوري وما هو لا شعوري هو الغرض الأساسي الذي يقوم عليه التحليل النفسي، وهذا التقسيم وحده هو الذي يجعل من الممكن التحليل النفسي أن يفهم لعمليات المرضية في الحياة العقلية"⁴. فاللاشعور هو اكتشاف هام لفرويد إذ يتخذ مساحة هامة وكبيرة في الجهاز النفسي، فيحتوي على كل المكبوتات من الخبرات والعقد وغيرها، فمن خلال هذه التقابلات الثنائية التي حاول فرويد الكشف عنها، فنجد أن ثمة طرف من

¹ - عادل عبد الله: التفكيكية، ص 14.

² - جاك دريدا: حمى الأرشيف الفرويدي، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار، سورية، ط1، 2003، ص 152

³ - جاك دريدا: مواقع (حوارات)، ص ص 12-13.

⁴ - سيجموند فرويد: الأنا والهو، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1402هـ - 1982، ص 25.

هذه الأطراف يحظى بالتقدير والوجود، بينما يعتبر الطرف المقابل أو الثاني منفي و منكر ويمكن الاستغناء عنه، ولهذا نجد تأثير دريدا بفرويد إذ حاول دريدا الكشف عن المقابل وجعل الطرف المهمش أساسيا والغائب شرطا للحضور.

فالغياب عند دريدا نمطا للحضور وبالتالي " فالحضور " ملتبس " بالغياب " وهكذا إذن نجد أن دريدا حوّل الحضور الذي كان سائداً آنذاك إلى غياب انطلاقاً من مسألة أو موضوع " الاختلاف " فدريدا ذهب إلى أبعد مما يكون من خلال إعادة الاعتبار للكتابة وجعلها المحور الأساسي والجوهري وليست مجرد وعاء لشحن وحدات معدة سلفاً، إنما الكتابة صيغة لإنتاج الوحدات وابتكارها. فالكتابة عند دريدا تتكئ على LOGOCENTRISME تستخدم الكلمة بوصفها أداة صوتية أبجدية خطية هدفها توصيل الكلمة المنطوقة و GRAMMATOLOGIE وهي الكتابة التي تعد بمثابة النظام الذي يؤسس العملية الأولية التي تنتج اللّغة، فهذه الكتابة ضد المنطق وفيها تتجلى عدمية الصوت وليس للوجود أن يتولد من الكتابة فهذا ضرب من الكتابة هو ولوج إلى لغة الاختلاف¹، فالاختلاف لدى هذا الفيلسوف خصوصية لغوية، فيعمل على تحرر " المتلقى " من استحضار المرجع المحدد ويترك له حرية تقديم مرجع خاص به وذلك لوجود " اختلاف " بين (الدال / المدلول) ، فالاختلاف قائم على تعارض الدلالات ولهذا حاول لتش أن ينغمر في موجات الاختلاف فيؤكد من خلاله: " عندما نستخدم العلامات فإن حضور المرجع والمدلول يرتبط بالحضور الذاتي للدال الذي يحضر لنا دال الوهم والمخادعة والضلال، على نحو مفاجئ ليس ثمة حضور مادي للعلامة، ما يوجد هو لعبة الاختلافات.."² وهذا ما قام به دريدا بنسق وحدة طرفي العلامة أي " اللعب الحر للعلامة" ، وتجريد العلامة اللغوية من السلطة التي كانت عليها ونزع التثبيت التي كانت عليه، مما يعني أن حضور العلامة اللغوية سواء متلفظة أو مكتوبة هي بالضرورة غياب الشيء أو مفهومه وهكذا فبدلاً من الدلالة نواجه الاختلاف من خلال التأجيل المستمر

¹ - عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، ص 649.

² -: المرجع نفسه ، ص 633.

للدلالة، فالعلامة إذن هي نتاج لنظام ما من الاختلافات. يقول دريدا: " إن لعبة الاختلافات، تمنع العلامات من أن تصبح في أي لحظة وبأي طريقة عناصر بسيطة، أعني حاضرة في نفسها وبنفسها"¹. وعليه يمكن اعتبار أن ما يشير إليه الاتجاه التفكيكي بزعامه دريدا أن النص ليس كيانا محددًا بل مجرد دوال تحيل إلى دوال أخرى، وهكذا إلا ما لا نهاية. وعلى هذا الأساس فإن اللغة هي: حضور مرجأ للأشياء أو المعاني ولا يمكن افتراض حضورها في وجود اللغة فمثلا: لفظة (أسد) باعتباره حيوان ذاته ليس حاضرا في النطق أو الكتابة لكنه غائب بعد أن استبدلنا به الرمز اللغوي (أسد). فالمنظور التفكيكي يرى أن الحضور هو حضور اللغة الذي يعني في الآن ذاته غياب الأشياء التي جاءت اللغة لتحل محلها، وهذا هو جوهر التفكيكية، فاللغة تحجب الأشياء وتخفيها عبر حضورها، مما يعني أن المدلول الحقيقي وهو في حالة بعثرة وتشتت ومراوغة مستمرة للدال، فكل قراءة إساءة لقراءة أخرى أي ثمة فجوة أو مسافة دائمة بين الدال والمدلول، وعدم استقرار المعنى و تثبيته ومفسحة المجال لتعدد الدلالة.

وعليه فدعوة التفكيك لفكر الاختلاف يكمن في تجاوز الأفكار السابقة فتأسيس الاختلاف داخل المخطط التفكيكي رغبة كبرى في تجاوز المفاهيم السابقة والتمرد عليها، ولهذا تميز الاختلاف لدى دريدا بأنه فلسفة مختلفة ثائرة على الأنساق الفلسفية، فالاختلاف كفلسفة يدعو إلى كسر طوق العقلانية الأداة الصارمة وتحرير الانسان المعاصر ودعوة إلى ضرورة التأمل الذاتي وإعادة قراءة التاريخ وتأويل الأحداث والفحص والتمحيص وإعادة أعمال العقل للمفاهيم، ويبقى موضوع الاختلاف إشكالية تطرح نفسها على كل ثقافة وهو واقع يخترق كل الإجماع البشري ولهذا تبني دريدا الاختلاف وأصبح مفهوما جوهريا في فلسفته التفكيكية.

¹ - عادل عبد الله: التفكيكية، ص 39.

المبحث الثالث: نقد وتقييم الفلسفة التفكيكية

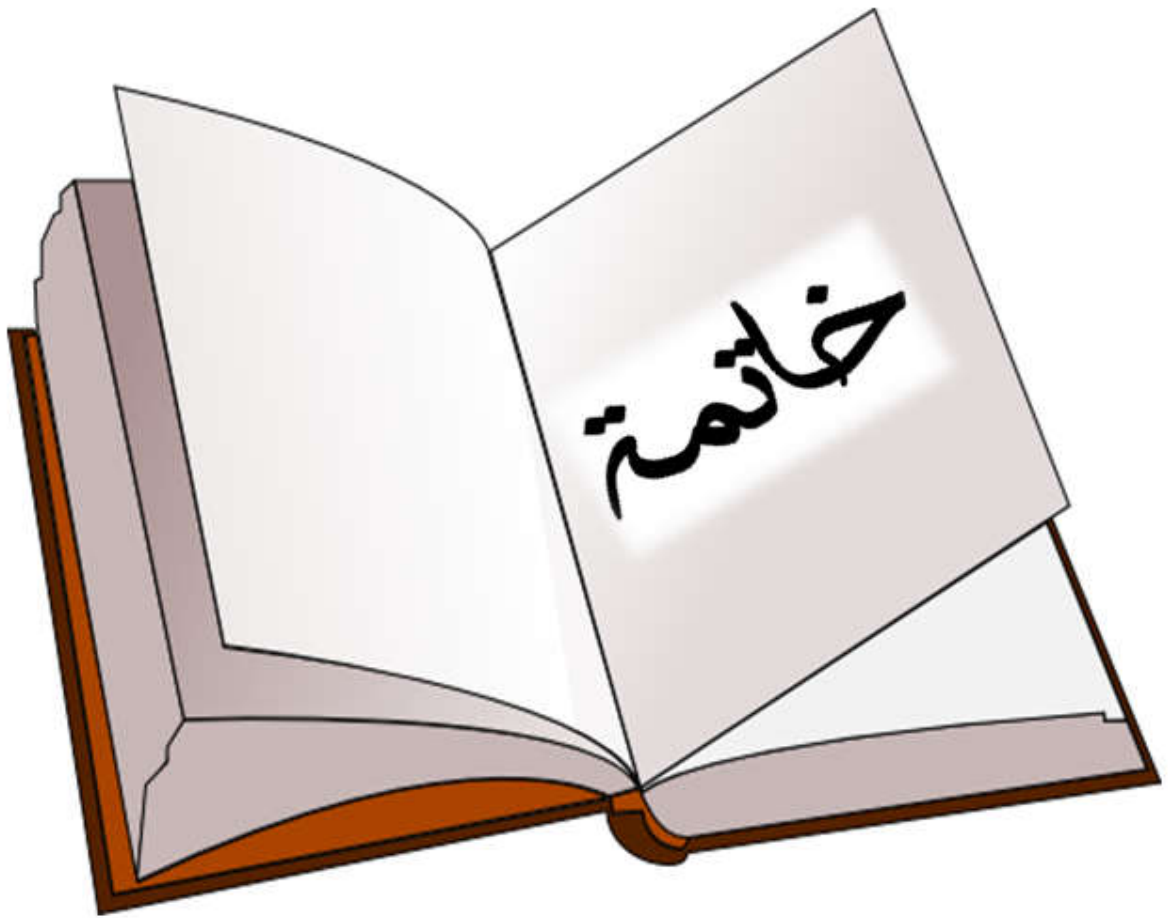
من خلال ما تطرقت إليه في دراسة: اللغة والاختلاف في فلسفة جاك دريدا وما أمكنني ملاحظته أن هذا الأخير أحدث تغييرا في مسار الفكر الفلسفي المعاصر ولهذا تجمع جل الدراسات على أن القراءة التفكيكية تسعى إلى إثبات أن ما هو هامشي قد يصير مركزيا، ولهذا عرفت الثقافة العربية دريدا وترجمت عدد من نصوصه ووضعت الكثير من الشروحات عليه للتعريف بفلسفته وتطبيق منهجه أو إستراتيجيته في القراءة. سواء في الفلسفة أو النقد الأدبي وقد نهض بهذا الجهد الكثير من أساتذة الجامعات والمفكرين العرب¹، ولذا رأى عبد العزيز حمودة أن التفكيكية تبحث عن اللبنة القلقة غير المستقرة وتحركها حتى ينهار البنيان من أساسه ويعاد تركيبه من جديد. وتكتسب العناصر المقهورة أهمية جديدة يحددها بالطبع أفق القارئ. أما التحليل التفكيكي عند عبد المالك مرتاض فيقوم على تقويض لغة النص أجزاء أجزاء ، وأفكارا وأفكارا ليتبين مركزية النص والاهتداء إلي سر اللعبة فيه ثم يعاد تركيبه أو بناؤه على ضوء نتائج التقويض ، فالتفكيك عند عبد المالك مرتاض يقوم على تفكيك النص إلي أجزاء وتحليل أدق تفاصيله ليصل القارئ ، أو الناقد إلي عمق النص فيهددي إلي سر البناء فيه². كما أسهم محمد أركون من خلال توظيف مفاهيم دريدا في تفكيك العقل والميتافيزيقا الإسلامية. لكن هذا لا يمنع أن التفكيكية لا تخلو من بعض الانتقادات والتناقضات والمآزق ولهذا أخذت كنموذج لنقد بورديو (أب علم الاجتماع المعاصر في فرنسا) بفضل مرجعيته السوسيولوجية التي يستحيل على علماء الاجتماع تخطيها ، ويأخذ بورديو على دريدا فصله لنسقه الفلسفي عن العلوم الإنسانية وعن المؤسسات المجتمعية ولهذا يرى فيه أنه يتحلي بالمثالية أي أنه يعيد إنتاج الفلسفة المثالية الكانطية بطريقة غير مباشرة ، فالتفكيكية بوجه عام هي منهج نقدي خطير لأنها نقد وتفكيك

1 - الهيئة العلمية: أوراق فلسفية، ص3.

2 - فاطمة زهرة سماعيل: القراءة التفكيكية، ص4.

للمفاهيم السائدة قامت على تشكيك وزعزعة كل يقين ، من خلال تشكيكها في العلم ثم الشك في كل شئ ، الشك أيضا في العلاقة القائمة بين الدال والمدلول وهذا مالا يقبله المنطق ، تركيز التفكيكية على الكتابة ، غموض التفكيك واستخدامه لمصطلحات غير واضحة سعيا لإبهار القارئ .

ورغم الانتقادات الموجهة للتفكيكية إلا أننا يمكن اعتبار الخطاب التفكيكي المعاصر خطابا يعمل دائما من أجل الكشف و الاستكشاف بهدف التجديد .



خاتمة:

من خلال ماتم تحليله في هذه الدراسة ، وبعد الإلمام بمجمل الأفكار الأساسية "حول اللغة وسؤال الاختلاف عند جاك دريدا وكما هو شائع ووارد في تاريخ الفلسفة المعاصرة أن دريدا فيلسوف، وقارئ نصوص التراث الفلسفي الغربي عرف بتعدد جوانبه وخصب اهتماماته، فالفكر الفلسفي عند هذا الفيلسوف يعبر عن آفاق جديدة ينأى عن انغلاق الذات ،.وسجن النسق ويعلن الاختلاف والمغايرة سبيلا للخروج من الفلسفات التي تنحو منحى ميتافيزيقيا ، ولهذا تميز مشروعه الفلسفي الجديد من خلال إعلانه عن فلسفة جديدة ومغايرة للفلسفات السابقة وتجسدت في: التفكيكية فمشروع دريدا تتوجها فلسفيا للفلسفة الأوروبية في القرن العشرين حمل داخله فلسفة كل من : إدموند هوسرل ، ومارتن هيدجر، وسغمووند فرويد، والبنوية وغيرها. فجاء دريدا في فترة موسومة بتعبير مابعد أي مابعد الحداثة ، مابعد الميتافيزيقا، ما بعد الأنطولوجيا ، ولعل تعبير كلمة مابعد هي التي أملت دريدا أن يكون المؤسس الفعلي لهذه المدرسة ويعلن عن فلسفة أخيرة لها صيغة خاصة بها وهي تفكيك الفلسفات التي أفضت إليها وتخضع ذاتها الفلسفية إلي التفكيك أيضا ،ولعل القول بفلسفة أخيرة أي بنهاية الفلسفة هو ما جعل دريدا يفتح الفلسفة علي الأدب ،ويفتح الأدب على الفلسفة ،ويفتح الطرفين على علم النفس وفلسفة اللغة، رافضا التراتب القهري في حقل النظرية ورافضا معه كل هوية نظرية منعزلة عن غيرها، فجاك دريدا يعد بمثابة فيلسوف إشكالي ،يجعل الإشكال بكسر الهمزة مدخلا إلي فلسفته . ومن خلال صياغته لمصطلح التفكيكية بتعمد وبوضوح يهدف إلي تقويض تاريخ الأنطولوجيا حتى لا يبقى للغرب العقلاني ما يفاخر به أمام النزعة التفكيكية المتنامية داخل أوساط فكرية معينة فلكي يثبت مركزيته اليهودية التي سبق وأن رفضها كان مضطرا لنقد بل لتحطيم مركزية أخري شكلت غشاء نظريا مثاليا سميكا هي المركزية الغربية بعقلانيتها التنويرية وإرثها المسيحي .

من هنا فإن إخراج دريدا من محيطه اللغوي والدلالي الناقد للميتافيزيقا الحضور والمقترح لنظرية الكتابة كبديل للكلام، ومن خلالها يغير مجاله اللغوي من أحادية الدلالة إلى مجال أعم وأشمل لكنه أكثر تعقيدا ويكمن في تعددية الدلالات والمعاني لهذا يواجه التفكير الفلسفي مشكلتين هما: الأحادية ، والإزدواجية اللغوية فكلاهما يعرقل مجال التفكير والكتابة ويتحدث هذا الأخير عن مشكلة الأحادية اللغوية وهذا مادفعه إلى تبنيه لغة الآخر ولعل مفهوم الآخر هو ما جعله يتطير من مفهوم الهوية التي تفترض ذاتها مركزا ويقول بالتعددية كان ذلك في نصه الفلسفي أو في تكوينه الثقافي فهو لا يفصل في ذاته بين جزائري وفرنسي ويهودي وهذا مادفع به إلى المنهج التفكيكي كطرح ثوري للمركزية المبنية على الثنائيات فما يؤكد التفكير ويتحول عنده إلى هدف هو أن الخطاب ينتج باستمرار ولا يتوقف بموت كاتبه لذا يدعو دريدا إلى الكتابة لانطوائها على صيرورة البقاء بغياب المنتج الأول وبفهم العلاقة الجدلية القائمة بين الحضور والغياب في جسد الخطاب باعتبار الحضور رهينة مرئية والغياب بظلاله الكثيفة العميقة وهو المدلول الذي يفتح على خاصية القراءة المستمرة في تحاور مع القارئ لهذا يصر في مشروعه التفكيكي على القراءة المزدوجة لدراسة النص بهدف إدراك الحضور عن طريق ما حاول إثباته من أن عمل اللغة نفسه يحاول دون الوصول إلى تلك الغاية ورفض أسبقية المدلول على الدال والاختلاف لا يظهر إلا من خلال اعتبار اللغة مجموعة من الدوال وهذا ما يميز التفكيكية من خلال تشكيكها في العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، ولهذا يحاول دريدا على كسر العلاقة الثابتة بينهما وردها إلى فضاء الاختلاف، وفتح النص والكشف عن المستور في زوايا النص. وفي الأخير يمكن القول أن فلسفة دريدا من أهم وأبرز الفلسفات المعاصرة كونها فلسفة واضحة المعالم والأهداف مما جعلت أفكاره حول اللغة والاختلاف رائدا من رواد الفكر الفلسفي المعاصر، وأكبر ما أضافه دريدا إلى الفكر الغربي ويمكن أن نسميه إنجازا فكريا خالصا إن صح التعبير هو اعتراف بوجود الآخر ، و استحضار الغائب ، الكشف عن المسكوت عنه ، ولهذا تبني دريدا اللغة والاختلاف كمنفذ للخروج من الأفكار الميتافيزيقية والمفاهيم السابقة .



الملحق الأول: السيرة الذاتية لجاك دريدا

- مولد جاك دريدا 1930-2004 بالجزائر من أصل يهودي .
- 1941-1947 إلتحاق دريدا بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية في بن عكنون قرب البيار وخروجه منها والعودة إليها ثانية .
- 1947-1948 انتظام دريدا بشعبة الفلسفة في المدرسة الثانوية gauthier في مدينة الجزائر حيث توفر خلال هذه السنة على قراءة برغسون وسارتر وكان في تلك الفترة منشغلا بالإبداع الأدبي وممارس مهنة التدريس كمدرس للأدب أيضا وعقب اجتيازه السنة الثانية تعرف على ألبير كامي وتلمذ على يديه بعد أن أصبح كامي مدرسا شهيرا 1948-1949 شكلت ميوله القوية تجاه الفلسفة حيث قرأ كيرجارد وهيدجر قراءة عميقة .
- 1949-1950 قام بأول زيارة على الإطلاق إلى فرنسا وهناك إنتظم كطالب داخلي في مدرسة لوي لي جران louis le grand في باريس.
- 1952-1953 إلتحق بمدرسة المعلمين العليا .
- 1953-1954 قام بالإطلاع على الأرشيفات الخاصة بهوسرل وكتب بحثه مشكلة التكوين في فلسفة هوسرل كبحت لطلاب في مرحلة الدراسات العليا.
- 1959-1960 عاد إلى فرنسا وتقديم الورقة البحثية الأولى في مؤتمر cerisy قام بالتدريس لأول مرة بمدرسة خاصة للدراسات العليا في le mans.
- 1960-1964 قام بالتدريس في السوربون الفلسفة العامة والمنطق .
- 1966 شارك في مؤتمر ضخم بالتيمور جامعة جون هوبكنز تحت عنوان لغات النقد وعلوم الإنسان وكان بحثه المقدم تحت عنوان البنية العلامة واللغة في خطاب العلوم الإنسانية ومنذ ذلك الحين على قدر مالاقي من أصداء أصبح مشهورا في أفق المدارس النقدية المعاصرة .

-1967 ألقى محاضراته الشهيرة في الجمعية الفلسفية تحت عنوان الاختلاف.
-1980 إفتتح مؤتمر فلسفة اللغة في ستراسبورج ومؤتمر حول أساس عمل جاك دريدا .

-2000 زيارته الشهيرة للقاهرة فيما بين فبراير حيث ألقى محاضرات وعقد حلقات دراسية في المجلس الأعلى للثقافة والمركز الثقافي الفرنسي حول التفكير والعلوم الإنسانية في الغد وعن التفكير في النقد الأدبي .
مؤلفاته .

الكتابة والاختلاف.

الصوت والظاهرة .

علم الكتابة .

هوامش الفلسفة .

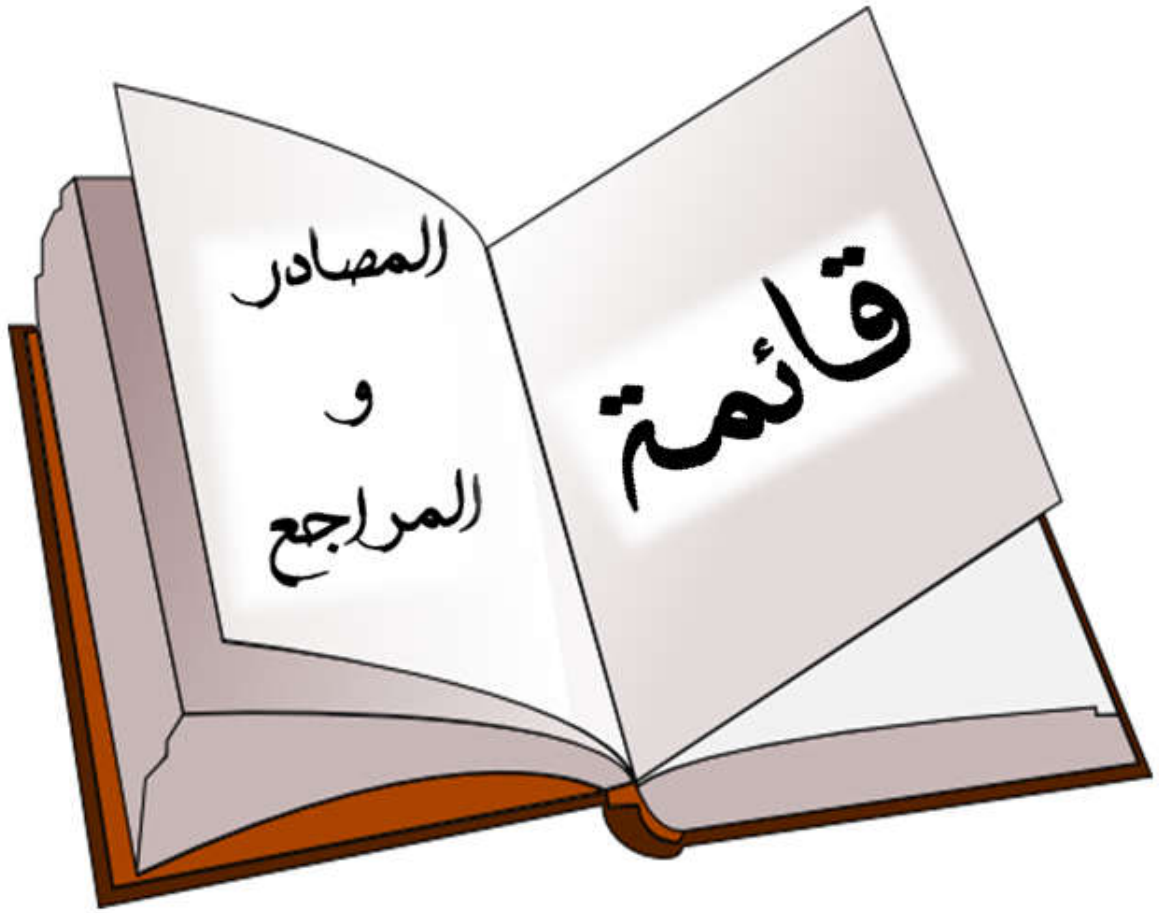
مواقف .

نواقيس .

أحادية لغة الاخر .

الملحق الثاني: خاص بالمصطلحات

- التقويض: Destruction ص 30-18-08
- الغراماتولوجيا: Grammatologie ص 37-30-20
- الرد: Réducacion ص 19
- اللغة: La langue ص 23
- ميثافيزيافا الحضور: Metaphysics De La Presence ص 24
- الفارماكون: Le Pharmakon ص 28
- الأثر: Trace ص 44-40
- الكتابة: Le Gramme ص 41
- الاختلاف: La Différence ص 67-57
- الإضافة: Le Supplement ص 62
- التتاص: Intertesctuality ص 51
- مابعد الحداثة: Post Modernisme ص 57
- الحداثة: La Modernité ص 57
- التشتيت: La Dispersion ص 57-53
- الدلالة: Signification ص 27-26
- الهوية: Identité ص 73-72-24
- العقل: Logos ص 69
- الحضور: Présence ص 75-68
- الغياب: Absence ص 75-68



قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. جاك دريدا : أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي ، ترجمة : عمر مهيبيل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2008.
2. جاك دريدا : انفعالات ، ترجمة : عزيز توما ، تقديم : إبراهيم محمود ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية - سوريا ، ط1، 2005.
3. جاك دريدا : إستراتيجية تفكيك الميتافيزيقا ، ترجمة وتقديم : عز الدين الخطابي ، أفريقيا الشرق ، المغرب - الدار البيضاء ، دط ، 2013.
4. جاك دريدا : حمى الأرشيف الفرويدي ، ترجمة : عدنان حسن ، دار الحوار ، سورية ، ط1، 2003.
5. جاك دريدا : الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومولوجيا هوسرل ، ترجمة : فتحي إنقزو ، الدار البيضاء - المغرب ، ط1، 2010.
6. جاك دريدا : صيدلية أفلاطون ، ترجمة : كاظم جهاد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، دط ، 1988.
7. جاك دريدا : عن الحق في الفلسفة ، ترجمة : عز الدين الخطابي ، مراجعة : جورج كتورة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 2010.
8. جاك دريدا : في علم الكتابة ، ترجمة : أنور مغيث - منى طلبة ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة - مصر ، ط2، 2008.
9. جاك دريدا : الكتابة والاختلاف ، ترجمة : كاظم جهاد ، تقديم : محمد علال سيناصر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء - المغرب ، ط2 ، 2000.
10. جاك دريدا : مواقع حوارات ، ترجمة وتقديم : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء - المغرب ، ط1 ، 1998.
11. جاك دريدا - إليزابيث رودينيسكو : ماذا عن غد ، محاوره ، ترجمة : سلمان حرفوش ، دار كنعان - دمشق ، ط1 ، 2008.

12. جاك دريدا والتفكيك : أحمد عبد الحليم عطية ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2010.

13. لقاء الرباط مع جاك دريدا : لغات وتفكيكات في الثقافة العربية ، ترجمة : عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1998.

ثانيا: المراجع

1. أسامة الحاج :التفكيكية .دراسة نقدية ،المؤسسة الجامعية للدراسات ،بيروت ،ط1،1996.

2. أنور محمد فرج أحمد :المركزية الغربية من التمرکز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر ،دد ، دب،ط 1 ، 2014 .

3. امبرتو ايكو:التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ،ترجمة وتقديم :سعيد بنكراد ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ،ط2، 2004.

4. أيان ألموند :التصوف والتفكيك .درس مقارن ابن عربي ودريدا ،ترجمة وتقديم :حسام نايل ،مراجعة :محمد بريري ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط1،2011.

5. أن ديفور مانتيل تدعو جاك دريدا كي يستجيب الضيافة ،ترجمة :منذر عياشي ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط1،2009.

6. بوزبرة عبد السلام :طه عبد الرحمن ونقد الحداثة ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ،ط1، 2011 .

7. جون ليشته :خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى مابعد الحداثة ،ترجمة : فانتن البستاني ، مراجعة :محمد بدوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2008.

8. جايتيريا سبيفاك –كريستوفر نوريس :صور دريدا (ثلاث مقالات عن التفكيك) ، ترجمة :حسام نايل ، مراجعة وتقديم : ماهر شفيق فريد ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، دب، دط، 2002.

9.جان بيرو : اللسانيات ، ترجمة : الحواس مسعودي –مفتاح بن عروس ، دار الآفاق ، الجزائر ، ط 5 ، 2001.

10. جيمس جوردن فينيلسون : يورجن هابرماس مقدمة قصيرة جدا ، ترجمة : أحمد محمد الروبي ، مراجعة : ضياء وراد ، مؤسسة هنداوي ، دب ، ط1 ، 2015.
11. رونيه ديكرت : العالم أو كتاب النور ، ترجمة وتعليق : ايميل خوري ، دار المنتخب العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1999.
12. الزواوي بغوره: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط1، 2005.
13. سيجمند فرويد : الأنا و الهو ، ترجمة : محمد عثمانى نجاتي ، دار الشروق ، بيروت ، ط4 ، 1982.
14. سامي الغابري : تفكيك الميتافيزيقا وبناء الإتيقا في فلسفة جاك دريدا ، دار الخليج ، عمان ، ط2، 2017 .
- 15 . طه عبد الرحمن : فقه الفلسفة 1 الفلسفة والترجمة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الرباط – المغرب ، ط1 ، 1995.
16. عبد الوهاب جعفر : البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه ، دار المعارف ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، دط ، 1989.
17. عادل عبد الله : التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، دار الحصاد ، سورية – دمشق ، ط1، 2000.
18. عبد السلام بنعبد العالي : أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء –المغرب ، ط1، 1991،
- 19.. عماد نبيل : جاك دريدا في الروح هايدجر والسؤال ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط1، 2013.
- 20 . عبد الله إبراهيم : المطابقة والاختلاف في نقد المركزية الثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دب ، ط1، 2005.
21. عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1980.
- 23 . عمر مهيبيل : من النسق إلى الذات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007.

24. عبد السلام بنعبد العالي : هيدجر ضد هيجل (التراث والاختلاف)، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2، 2006.
- 25 . فردنان دي سوسور : علم اللغة العام ، ترجمة : يوثيل يوسف عزيز ، دار أفاق عربية ، الأعظمية ، بغداد ، ط، 1985.
- 26 .فريدة غيوة : اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ، دار الهدى ، جامعة منتوري قسنطينة ، ط ، 2002.
27. فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1993
28. مجموعة باحثين : الفلسفة الفرنسية المعاصرة ، جدل التموقع والتوسع ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ، 1 ، 2015 .
29. مجموعة من المؤلفين : فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم ، ابن النديم ، دب ، ط1، 2012.
30. ميشيل رايان وآخرون : مدخل إلى التفكيك ، ترجمة : حسام نايل ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة أفاق عالمية ، القاهرة ، ط ، 1 ، 2008.
31. محمد سالم سعد الله : الأسس الفلسفية لنقد مابعد البنيوية ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، دب ، ط ، 1 ، 2007.
- 32 .محمد عصفور : البنيوية ومابعدھا من ليفي شتراوس إلى دريدا ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1996.
33. ميشال أريفيه : البحث عن فردينان دوسوسير ، ترجمة وتقديم : محمد خير محمود البقاعي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، باريس – فرنسا ، ط ، 1 ، 2007.
34. وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة : محمود سيد أحمد ، التنوير ، بيروت – لبنان ، ط ، 1 ، 2010.

ثالثا: قائمة المعاجم والموسوعات

المعاجم.

1. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ط ، 1983.

2. جلال الدين سعيد : معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، دط ، 2004.
3. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ج1، ج2، ط1، 1982.
4. حبيب الشاروني : قراءة للمصطلح الفلسفي ، ترجمة : صفاء عبد السلام جعفر ، دار الثقافة ، الإسكندرية ، 1991-1999.
5. عبد المنعم الحنفي : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط3، 2000.
6. مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ط5، 2007.

الموسوعات:

1. أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، المجلد 1، ط2، 2001.
2. عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ج1، ط1، 1984.

رابعاً: المجلات

المجلات

1. أحمد زايد : الهرمونطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الإجتماعية ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية ، مكتبة البنين ، قسم الدوريات ، جامعة قطر ، العدد الرابع عشر ، 1991.
2. باسم حسن هاشم الماجدي : المماثلة في العمارة ، قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنولوجية ، بغداد .دع، دس.
3. خضر إ - حيدر : ايمانويل كانط الفيلسوف الشاهد على الحداثة والناقد لعيوبها ، الاستغراب ، دب ، دع، 2017
4. الزواوي بغوره : ميشال فوكو في الفكر المعاصر ، بقلم المهدي مستقيم ، مؤمنون بلاحدود بالدراسات والأبحاث ، دب ، دع ، 2018.
5. شايع الوقيان : دريدا قارئ هوسرل ، مجلة الفكر الثقافية ، الرياض ، دع ، 2011.
6. عبد الوهاب شعلان : ألبير ميمي وحدود تفكيك الميثولوجيا البيضاء ، مجلة الرؤى الفكرية ، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية ، جامعة محمد الشريف مساعدي ، سوق أهراس - الجزائر ، العدد الأول ، 2015.
7. عمر السنوي الخالدي : البنيوية عوامل النشأة وأسباب النقض ، دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية ، شبكة الألوكة ، دب ، دع، 2017.

8. عمر التاور : إستراتيجية التفكير عند جاك دريدا الهدم والبناء ، تبیین ، دب ، العدد 2014،9.
9. غازي مختار طليمات : التناس وأهل التفكير ، البيان ، دب ، دع ، 2002.
10. محمد بن عبد الله بن صالح بن بلعير : البنيوية (النشأة والمفهوم)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والإجتماعية ، دب، المجلد 16 ، العدد 15، 2017.
11. مروان علي حسين أمين : التفكيرية عند جاك دريدا ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ، النجف الأشرف ، المجلد 2، العدد 41، دس.
12. محمد حافظ دياب : جاك دريدا ومغامرة الاختلاف ، مجلة أنفاس من أجل الثقافة والانسان ، دب، العدد 5279، 2013.
13. محمد طواع : ملاحقة سلطة المعنى أو دريدا مفككا للميتافيزيقا ، أنفاس من أجل الثقافة والانسان ، دب ، العدد 9912، 2016.
14. مليكة فريحي : مفهوم التناس المصطلح والإشكالية ، مجلة ثقافية فصلية ، عود الند ، الجزائر ، دع ، دس .
15. المعانيد الشرقي : المنهج الجينالوجي عند فريديريك فلهلم نتشه ، الحوار المتمدن ، دب ، العدد 4906، 2015.
16. نبيلة دين : محاضرات في الألسنية العامة ، مجلة ثقافية فصلية ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، العدد 12، دس
17. الهيئة العلمية : أوراق فلسفية ، منتدى سور الأزبكية ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث عشر ، 2005

خامسا: مذكرات

1. إبراهيم بن طيبة : التفكير وسياسة الغفران عند جاك دريدا ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، رسالة ماجستير في الفلسفة ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2016-2017
2. جميلة حنيفي : يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، أطروحة لنيل دكتوراه في الفلسفة ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر 02، 2011-2012
3. حبيبة دباش : فلسفة الحضور والغياب عند جاك دريدا ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، مذكرة ماجستير في الفلسفة ، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة ، 2008-2009.
4. منير أوعشرين : قيم الحداثة في فلسفة جاك دريدا ، كلية العلوم الإجتماعية ، شهادة الماجستير في الفلسفة ، جامعة وهران 02، 2015-2016

5. محمد الشهيد العيشاوي : مفهوم الدولة بين هيغل وماركس ، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة ، قسم الفلسفة ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2016-2017.

سادسا: الأترنيت

1- /https://ar.wikipedia.org/wiki



الصفحة	المحتوى
	شكر وتقدير
	الإهداء
أب-ت-ث	مقدمة
الفصل الأول: مدخل حول التفكيكية	
9-7	المبحث الأول : مفهوم فلسفة التفكيك
10	المبحث الثاني : نشأة التفكيكية
14-11	أولاً: السياق التاريخي لفلسفة التفكيكية
21-15	ثانياً: المرجعيات الفلسفية لـ: جاك دريدا
الفصل الثاني: اللغة في فلسفة جاك دريدا	
24	المبحث الأول : تجليات اللغة عند جاك دريدا
29 -24	أولاً: التفكيك
39 -30	ثانياً: الكتابة والقراءة
44-40	ثالثاً: الأثر
54-45	المبحث الثاني : إستراتيجية التفكيك عند جاك دريدا
الفصل الثالث: الاختلاف في فلسفة جاك دريدا	
57	المبحث الأول: مسألة الاختلاف في الفكر التفكيكي

60-59	اولا: مفهوم الاختلاف عند جاك دريدا
67-61	ثانيا: مكانة الاختلاف عند جاك دريدا
75-68	المبحث الثاني: ثنائية الحضور والغياب
77-76	المبحث الثالث: نقد وتقييم الفلسفة التفكيكية
80-79	خاتمة
84-82	الملاحق
91-86	قائمة المصادر والمراجع
94-93	الفهرس

ملخص الدراسة

حاولت من خلال هذه الدراسة المعنونة : باللغة وسؤال الاختلاف عند جاك دريدا أن أوضح من خلالها أن الحديث هذا الأخير عن قضيتين اللغة والاختلاف جاء بطريقة تفوق غيره من الفلاسفة ، فكانت فلسفته بمثابة ثورة فكرية ولذا يمكن اعتبار الفلسفة التفكيكية من أهم

و أبرز الفلسفات المعاصرة لكونها واضحة المعالم والأهداف مما جعلت أفكاره الفلسفية حول اللغة والاختلاف أن يتخلص من مجمل الأفكار الميتافيزيقية ونقدها ولهذا كان موقف دريدا موقف نقدي خالص تجاه المفاهيم الميتافيزيقية .

الكلمات المفتاحية: التفكيكية، اللغة، الاختلاف، الأثر، الكتابة.

كن على الصدق مقيما بالأدب
واتق الله بقلب خاشع واجتنب
والزم العلم بفهم وطلب
ففي العلم قول الكذب
وأما الله إن يكون هذا البحث على نسق علمي مضبوط
بمعيار المنهجية العلمية

